عِلمُ المَعَانِي

أَقْسَامُ الْكَلَامِ

الْكَلَامُ قِسْمَانِ:

اعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ الْكَلَامَ قِسْمَانِ:

الْقِسْمُ الأَوَّلُ – خَبَرٌ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي – إِنْشَاءٌ.

١ – **الخَبَرُ:** مَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه: إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ، فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ كَانَ قَائِلُهُ صَادِقًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُطَابِقٍ لَهُ كَانَ قَائِلُهُ كَاذِبًا(١)، فَإِذَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ: «السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَدَبِ النَّاسِ». فَهَذَا خَبَرٌ يُمْكِنُ أَنْ تُنَازِعَهُ فِيهِ بِنَفْيِهِ كُلًّا أَوْ بَعْضًا.

٢ – **الإِنْشَاءُ:** وَهُوَ مَا لا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه: إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ، فَإِذَا قَالَ الأَبُ لِوَلَدِه: «اطْلُبِ الْعِلْمَ»، أَوْ: «هَلْ أَنْتَ مُسَافِرٌ؟»، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ هُنَا أَنْ تَقُولَ: إِنَّهُ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ؟، ذَلِكَ مُحَالٌ؛ فَلا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ لِمَنْ أَمَرَكَ بِشَيْءٍ، أَوِ اسْتَفْهَمَ عَنْ شَيْءٍ، أَوْ نَهَى عَنْ شَيْءٍ، أَوْ نَادَى أَحَدًا –: هَذَا صِدْقٌ أَوْ كَذِبٌ؛ لأَنَّ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ إِنَّمَا يُوصَفُ بِهِمَا الشَّيْءُ الَّذِي ادَّعَيْنَا وُقُوعَهُ، وَالْحُكْمُ الَّذِي أَثْبَتْنَاهُ لِشَيْءٍ مَا.

---

(١) أَكْثَرُ عُلَمَاءِ الْبَلاغَةِ عَلَى أَنَّ الخَبَرَ: هُوَ الإِعْلامُ، كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ فِي كِتَابِه «الصَّاحِبِيُّ» (ص١٧٩): «وَمَتَى أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ كَلامًا أَنْتَ تَجْهَلُهُ بِقَصْدِ إِعْلامِكَ فَهُوَ خَبَرٌ، يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ». قَدْ وَضَعَ عُلَمَاءُ الْبَلاغَةِ قَيْدًا فِي تَعْرِيفِ الْخَبَرِ، فَقَالُوا: «الْخَبَرُ: هُوَ مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ لِذَاتِه». فَالْقَيْدُ «لِذَاتِه» أَي: بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ خُصُوصِ الْمُخْبِرِ، أَوْ خُصُوصِ الْخَبَرِ، وَإِنَّمَا يُنْظَرُ فِي احْتِمَالِ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ إِلَى الْكَلامِ نَفْسِه لا إِلَى قَائِلِه، دَخَلَ بِذَلِكَ الإِخْبَارُ عَنِ اللهِ فِي كِتَابِه، وَمَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ – ﷺ –، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ الْوَاجِبَاتِ الصِّدْقِ، وَالْبَدِيهِيَّاتِ الْمَأْلُوفَةِ، نَحْو: «السَّمَاءُ فَوْقَنَا»، وَدَخَلَ بِذَلِكَ الأَخْبَارُ الْوَاجِبَةُ الْكَذِبِ: كَأَخْبَارِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَأَخْبَارِ الْكُهَّانِ وَالْعَرَّافِينَ، وَالأَخْبَارُ الْمَقْطُوعُ بِكَذِبِهَا، نَحْو: الشَّهْرُ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، وَمَاءُ الْبَحْرِ حُلْوٌ.

رُكْنَا الجُمْلَة

وَاعْلَمْ – أَخِي – أَنَّ لِكُلِّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَلِ الخَبَرِ وَالإِنْشَاءِ رُكْنَانِ:

مُسْنَدٌ (١)، وَمُسْنَدٌ إِلَيْهِ (٢)، وَهُمَا (عُمْدَةُ الْكَلامِ).

---

(١) الْمُسْنَدُ: يَكُونُ مفْرَدًا وَجُمْلَةً، وَيُسَمَّىٰ (المحْكُوم به)، وَيَكُونُ مُفْرَدًا؛ لِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبَبِيٍّ، وَلَمْ يُقْصَدْ بِهِ تَقْوِيَةُ الْحُكْمِ، نَحْو: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ»، فَأَمَّا السَّبَبِيُّ نَحْو: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ»، وَأَمَّا مَا قُصِدَ بِهِ تَقْوِيَةُ الْحُكْمِ، نَحْو: عَبْدُ اللهِ سَافَرَ.

وَمَوَاضِعُ المُسْنَد ثمانيةٌ:

١ – الْفِعْلُ التَّامُّ؛ نَحْو: «جَاءَ» مِنْ قَوْلِكَ: «جَاءَ عَبْدُ اللهِ».

٢ – اسْمُ الْفِعْلِ؛ نَحْو: «هَيْهَاتَ مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ».

٣ – الْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِهِ، نَحْو: «قِيَامًا لا قُعُودًا».

٤ – المَفْعُولُ الثَّانِي (لِظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

٥ – المَفْعُولُ الثَّالِثُ (لأَرَىٰ وَأَخَوَاتِهَا).

٦ – الْمُبْتَدَأُ الَّذِي لَهُ فَاعِلٌ – أَوْ نَائِبُهُ – سَدَّ مَسَدَّ الخَبَرِ، نَحْو: «نَائِمٌ» مِنْ قَوْلِكَ: «أَنَائِمٌ عَبْدُ اللهِ»، وَنَحْو: «مَظْلُومٌ» مِنْ قَوْلِكَ: «مَا مَظْلُومٌ عَبْدُ اللهِ».

٧ – خَبَرُ الْمُبْتَدِإِ؛ نَحْو: «مُسَافِرٌ» مِنْ قَوْلِكَ: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ».

٨ – أَخْبَارُ النَّوَاسِخِ؛ (كَانَ وَأَخَوَاتِهَا)، و(إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

(٢) المُسْنَدُ إِلَيْه: وَيُسَمَّىٰ (المحْكُومَ عَلَيْهِ)، أَوِ (المُتَحَدَّثَ عَنْهُ)، وَلَهُ سِتَّةُ مَوَاضِعَ:

١ – الْفَاعِلُ.

٢ – نَائِبُ الْفَاعِلُ.

٣ – المَفْعُولُ الأَوَّلُ (لظَنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

٤ – المَفْعُولُ الثَّانِي (لأَرَىٰ وأخواتِهَا).

٥ – الْمُبْتَدَأُ الَّذِي لَهُ خَبَرٌ.

٦ – أَسْمَاءُ النَّوَاسِخِ: (كَانَ وَأَخَوَاتِهَا)، و(إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا).

وَمِثَالُهُ: «جَاءَ عَبْدُ اللهِ»، فَالْمُسْنَدُ «جَاءَ»، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ: «عَبْدُ اللهِ»، وَتَقُولُ: «عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ»، فَالْمُسْنَدُ «مُسَافِرٌ»، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ «عَبْدُ اللهِ»، فَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ مُسْنَدٌ، وَكُلَّ فَاعِلٍ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَمِثْلُ الْفَاعِلِ نَائِبُ الْفَاعِلِ، فَهُوَ (مُسْنَدٌ إِلَيْهِ)، نَحْوُ: «قُضِيَ الأَمْرُ»، وَمِثْلُ الْمُبْتَدَإِ اسْمُ كَانَ، نَحْوُ: «كَانَ عَبْدُ اللهِ عَاقِلاً».

وَاسْمُ إِنَّ، نَحْوُ: «إِنَّ عَبْدَ اللهِ عَاقِلٌ» وَهَكَذَا.

وَمَا سِوَى الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَهُوَ قَيْدٌ[1] غَيْرَ صِلَةِ الْمَوْصُولِ، وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

وَلَا يَعْنِي إِهْمَالَ الْقَيْدِ - دَائِمًا - فَقَدْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ صِحَّةُ الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لا تقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، عِلْمًا بِأَنَّ جُمْلَةَ ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ حَالِيَّةٌ، وَهِيَ قَيْدٌ.

(١) عُلَمَاءُ النَّحْوِ يُسَمُّونَ هَذِهِ فُضَلَاتٍ، وَهِيَ: الْمَفَاعِيلُ الْخَمْسَةُ (وَهِيَ: الْمَفْعُولُ بِهِ، وَالْمَفْعُولُ فِيهِ، وَالْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ، وَالْمَفْعُولُ لأَجْلِهِ، وَالْمَفْعُولُ مَعَهُ)، وَالتَّوَابِعُ (وَهِيَ: النَّعْتُ، وَالتَّوْكِيدُ، وَالْعَطْفُ بِنَوْعَيْهِ: الْبَيَانُ وَالنَّسَقُ، وَالْبَدَلُ)، وَالْحَالُ، وَالتَّمْيِيزُ، وَأَدَوَاتُ الشَّرْطِ، وَالنَّفْيِ، وَالاسْتِفْهَامِ، وَالنَّوَاسِخُ، وَكُلُّهَا قُيُودٌ؛ لأَنَّهَا زِيَادَةٌ عَلَىٰ رُكْنَيِ الْجُمْلَةِ.

أَقْسَامُ الخَبَرِ

أَخِي، لاشَكَّ أنَّ الْغَرَضَ مِنَ الْكَلامِ الإِفْصَاحُ وَالإِظْهَارُ، وَالْمُتَكَلِّمُ مَعَ الْمُخَاطَبِ كَالطَّبِيبِ مَعَ المَرِيضِ، الَّذِي يُشَخِّصُ حَالَتَهُ وَيُعْطِيهِ مَا يُنَاسِبُهَا، فَقَدْ يَكُونُ لَكَ أَخٌ، حَصَلَ التَّعَارُفُ بَيْنَكُمَا بِالْمُرَاسَلَةِ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَكُمَا التَّعَارُفُ شَخْصِيًّا، فَتَقْدُمُ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَسَأَلَكَ: «مَنِ الأَخُ؟». تَقُولُ لَهُ:

١ – «أَنَا عَبْدُ اللهِ».

(وَيُسَمَّىٰ هَذَا الضَّرْبُ ابْتِدَائِيًّا)[١].

فَإِذَا تَرَدَّدَ الأَخُ، قُلْتَ:

٢ – «إِنِّي عَبْدُ اللهِ».

(وَيُسَمَّىٰ هَذَا الضَّرْبُ طَلَبِيًّا)[٢].

فَإِذَا أَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ عَبْدَ اللهِ وَغَضِبَ، قُلْتَ:

٣ – «وَاللهِ، إِنِّي لَعَبْدُ اللهِ».

(وَيُسَمَّىٰ هَذَا الضَّرْبُ إِنْكَارِيًّا)[٣].

وَمِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم**

---

(١) في هذه الحالة لا يؤكد له بالكلام؛ لأنه خالي الذهن من الحكم، فهو ابتدائي.

(٢) في هذه الحالة يحسن تأكيد الكلام؛ لأن الأخ مترددٌ، كأنه يطلب التأكيد؛ ليتمكن في نفسه.

(٣) في هذه الحالة يكون الأخ قد أنكر الكلام، وأنكر أن تكون أنت عند الله معتقدًا خلافه، فتحتاج أن تؤكد له بأكثر من ما كنت على حسب إنكاره قوة وضعفًا.

مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [يس: ١٣ – ١٦].

فَفِي هَذِهِ الآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يَبْدُو التَّأْكِيدُ بِأَرْوَعِ صُورَةٍ، وَأَنْصَعِ بَيَانٍ لِلْخَبَرِ، فَقَدْ قَالَ أَوَّلاً: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ ، فَأَوْرَدَ الْكَلامَ (ابْتِدَائِيَّ الْخَبَرِ).

ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾، فَأَكَّدَهُ بِمُؤَكِّدَيْنِ، وَهُمَا: (إِنَّ)، و(اسْمِيَّةِ الْجُمْلَةِ)، فَأَوْرَدَ الْكَلامَ (طَلَبِيّاً).

ثُمَّ قَالَ: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾، فَتَرَقَّىٰ فِي التَّأْكِيدِ بِثَلاثَةٍ، وَهِيَ: (إِنَّ) و(لام الابْتِدَاءِ)، و(اسْمِيَّةِ الْجُمْلَةِ)؛ فَأَوْرَدَ الْكَلامَ (إِنْكَارِيَّ الْخَبَرِ) جَوَابًا عَلَىٰ إِنْكَارِهِمْ.

قِيلَ: وَفِي قَوْلِهِ – تَعَالَىٰ –: ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ ﴾ تَأْكِيدٌ رَابِعٌ، وَهُوَ إِجْرَاءُ الْكَلامِ مُجْرَىٰ الْقَسَمِ فِي التَّأْكِيدِ بِهِ [١].

(١) انظر «إعراب القرآن وبيانه» لمحيي الدين درويش – رحمه الله – (٦ / ٣١٥).

أَلْفَاظُ التَّوْكِيد

أَلْفَاظُ التَّوْكِيدِ هِيَ:

إِنَّ، وَلامُ الابْتِدَاءِ، وَضَمِيرُ الْفَصْلِ، وَالْقَسَمُ، وَأَمَّا الشَّرْطِيَّةُ، وَأَحْرُفُ التَّنْبِيه: (أَلا، وَأَمَا، وَهَا)، وَالْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ: (إِنْ، أَنْ، مَا، مِنْ، الْبَاء، اللاَّم)، وَقَدْ، وَالسِّين، وَسَوْفَ (الدَّاخِلَتَانِ عَلَىٰ فِعْلٍ دَالٌّ عَلَىٰ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ)، ونُونَا التَّوْكِيد، وَتَكْرِيرُ النَّفْيِ.

وَفِيمَا يَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ:

١- إِنَّ[١]: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَجُّ: ٦٥].

---

(١) إِنَّ (المَكْسُورَةَ الْهَمْزَةِ الْمُشَدَّدَةَ النُّون) هِيَ الأَصْلُ فِي التَّوْكِيد، تَنْصِبُ الاسْمَ، وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ، وَلَهَا فَوَائِدُ وَخَصَائِصُ وَمَحَاسِنُ لا يُدْرِكُهَا إِلاَّ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِد، فَمِنْ فَوَائِدِهَا - عَلَىٰ سَبِيلِ المِثَالِ -: أَنَّهَا تَرْبِطُ الْجُمْلَةَ، بِحَيْثُ لَوْ سَقَطَتْ لَذَهَبَ رَوْنَقُ النَّظْمِ، وَأَصْبَحَ الْكَلامُ مُفَكَّكًا، لا مِيزَةَ لَهُ، وَلا رَوْحَ فِيه، وَهَذَا فِي التَّنْزِيلِ كَثِيرٌ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ [الحَجُّ: ١]، فَوْ أَنَّكَ أَسْقَطْتَ (إِنَّ)، فَقِيلَ مَثَلاً: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقوا ربكم زلزلة السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» - لَذَهَبَ حُسْنُ الْكَلامِ وَرَوْنَقُهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ الإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ فِي كِتَابِه «الدَّلائِلُ» (ص٢٧٣) وَقْفَةً لَطِيفَةً، يَحْسُنُ إِيرَادُهَا هُنَا: «رُوِيَ عَنِ الأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلاءِ، وَخَلَفَ الأَحْمَر، وَكَانُوا يَأْتُونَ بَشَّارًا، فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْه بِغَايَةِ الإِعْظَامِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: يَا أَبَا مُعَاذ، مَا أَحْدَثْتَ؟ يُخْبِرُهُمْ وَيُنْشِدُهُمْ، وَيَسْأَلُونَهُ، وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مُتَوَاضِعِينَ لَهُ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَقْتُ الزَّوَال، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ، وَأَتَوْهُ يَوْمًا، فَقَالُوا: مَا هَذِه الْقَصِيدَةُ الَّتِي أَحْدَثْتَهَا فِي سَالِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ؟. قَالَ: هِيَ الَّتِي بَلَغَتْكُمْ. قَالُوا: بَلَغَنَا أَنَّكَ أَكْثَرْتَ فِيهَا مِنَ الْغَرِيب!. قَالَ: نَعَمْ، بَلَغَنِي أَنَّ سَالِمَ بْنَ قُتَيْبَةَ يَتَبَاصَرُ بِالْغَرِيب، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُورِدَ عَلَيْهَا مَا لا يَعْرِفُ. قَالُوا: فَأَنْشِدْنَا يَا أَبَا مُعَاذ. فَأَنْشَدَهُمْ:

بَكَّرَا - صَاحِبِيَّ - قَبْلَ الْهَجِيرِ ... إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

٢ - لامُ الابْتِداءِ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحَشْر: ١٣]. وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٣ - القَسَمُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

٤ - ضَميرُ الفَصْلِ [١]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]. ونَحو: «إِنَّمَا الْكَرَمُ هُوَ التَّقْوَىٰ».

= حَتَّىٰ فَرِغَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ خَلَفٌ: لَوْ قُلْتَ - يَا أَبَا مُعَاذٍ - مَكَانَ: «إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ»: بَكَّرَا؛ فَالنَّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ، كَانَ أَحْسَنَ. فَقَالَ بَشَّارٌ: أَنَا بَنَيْتُهَا أَعْرَابِيَّةً وَحْشِيَّةً؛ فَقُلْتُ: «إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ»، كَمَا تَقُولُ الأَعْرَابُ الْبَدَوِيُّونَ، وَلَوْ قُلْتُ: «بَكَّرَا فَالنَّجَاحُ»، كَانَ هَذَا مِنْ كَلامِ الْمُوَلَّدِينَ، وَلا يُشْبِهُ ذَاكَ فِي مَعْنَىٰ الْقَصِيدَةِ. قَالَ: فَقَامَ خَلَفُ الأَحْمَرِ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ».

وَقَدْ يُلْحِقُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِـ«إِنَّ»: (أَنَّ) مَفْتُوحَةَ الْهَمْزَةِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللهِ، كَقَوْلِه -تَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكَهْف: ١١٠]، وَمَعْنَىٰ التَّأْكِيدُ فِي «أَنَّ» (مَفْتُوحَةُ الْهَمْزَةِ) أَنَّكَ حِينَمَا تَقُولُ: عَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ لا يَسْتَحِقُّونَ الْكَرَامَةَ، فَإِنَّ (أَنَّ) وَمَا بَعْدَهَا تُؤَوَّلُ بِمَصْدَرٍ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولٍ بِهِ، أَيْ: عَلِمْتُ عَدَمَ اسْتِحْقَاقِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لِلْكَرَامَةِ، فَالْعِبَارَةُ الأُولَىٰ أَبْلَغُ مِنَ الْعِبَارَةِ الثَّانِيَةِ، وَنَنْطِقُ بِهَا عِنْدَمَا يَكُونُ هُنَاكَ شَكٌّ أَوْ إِنْكَارٌ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا﴾ [الحُجُرَات: ٥]، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: وَلَوْ ثَمَّ صَبْرُهُمْ أَوْ ثَبَتَ.

عَلَىٰ كُلٍّ فَإِنَّ (إِنَّ) لَهَا مَحَاسِنُ عَزِيزَةٌ، فَمِنْ مَحَاسِنِهَا - أَيْضًا - أَنَّكَ تَجِدُ لِضَمِيرِ الشَّأْنِ مَعَهَا رَوْنَقًا وَطَلاوَةً، يَكْسُوانِ اللَّفْظَ دِقَّةً وَقُوَّةً تَزِيدَانِ فِي الْمَعْنَىٰ، وَمِنْ هَذَا كَثِيرٌ فِي التَّنْزِيلِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٠]، وَقَوْلُه - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طَه: ٧٤]، وَمَتَىٰ أَسْقَطْنَا (إِنَّهُ) فَسَوْفَ يَخْلُو الكَلامُ مِنْ هَذَا الرَّوْنَقِ، وَمِنْ تِلْكَ الدِّقَّةِ. انظُرْ «بَلاغَتنا» (١ / ١٤٤).

(١) أَخِي، قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الضَّمَائِرَ هِيَ أَسْمَاءٌ، وَهِيَ أَنْوَاعُ الْمَعَارِفِ، لَكِنْ ضَمِيرُ الْفَصْلِ لَيْسَ اسْمًا، وَإِنَّمَا هُوَ حَرْفٌ فِي الْمَشْهُورِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ، وَسُمِّيَ ضَمِيرَ الْفَصْلِ؛ لأَنَّهُ جَاءَ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ. وَهُوَ ضَمِيرٌ يُفِيدُ التَّأْكِيدَ، وَمِنْ فَوَائِدِه: أَنَّهُ يَأْتِي لاخْتِصَاصٍ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهُ يَكُونُ خَبَرًا لا تَابِعًا، فَلَوْ أَنَّكَ قُلْتَ: وَأُولَئِكَ الْمُفْلِحُونَ، جَازَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ «الْمُفْلِحُونَ» صِفَةً أَوْ خَبَرًا، لَكِنْ بِمَجِيءِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ لا يَجُوزُ إِعْرَابُهَا صِفَةً؛ لأَنَّ الْخَبَرَ عُمْدَةٌ فِي الْكَلامِ. انْظُرْ «بَلاغَتنا» (١ / ١١٩).

٥ - أمَّا الشَّرْطِيَّةُ[١]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ [الضُّحَىٰ: ٩].

٦ - أَحْرُفُ التَّنْبِيهُ (أَلا، وأَمَا، وهَا): فَالأَوَّلُ كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ [البقرة: ١٣].

وَأَمَّا (أَمَا) فَتَكْثُرُ قَبْلَ الْقَسَمِ، كَقَوْلِه (أَيْ صَخْرٍ الهُذَلِيِّ):

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَىٰ وَأَضْحَكَ، وَالَّذِي ... أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

وَمِثَالُ هَا: قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٧ - الحُرُوفُ الزَّائِدَةُ، وهِيَ: (إِنْ، أَنْ، مَا، مَنْ، الْبَاءُ، اللاَّمُ):

(أ) إِنْ: كَقَوْلِه:

مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلا هَلِعْتُ ... وَلا يَرُدُّ بُكَايَ زَنْدا

(ب) أَنْ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ [يُوسُف: ٩٦][٢].

(جـ) مَا: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

---

(١) أَيْ قَدْ تَكُون عَازِمًا عَلَىٰ السَّفَرِ، فَقُلْتَ لِزَوْجَتِكَ: أَنَا عَازِمٌ عَلَىٰ السَّفَرِ، فَإِذَا أَحْسَسْتَ مِنْهَا شَكًّا وَتَرَدُّدًا فِيمَا قُلْتَ، فَإِنَّكَ تُؤَكِّدُ لَهَا هَذَا الْخَبَرَ بِقَوْلِكَ: أَمَّا أَنَا فَعَازِمٌ عَلَىٰ السَّفَرِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ (أَمَّا) لَهَا ضَابِطٌ، فَهِيَ مَفْتُوحَةُ الأَلِف، مُشَدَّدَةُ الْمِيم، وَهِيَ هُنَا حَرْفُ شَرْطٍ وَتَفْصِيلٍ يُفِيدُ التَّوْكِيدَ، خِلافًا لِـ(إِمَّا) - بِالْكَسْرِ -، فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ أَدَوَاتِ التَّوْكِيد.

وَهُنَا فَائِدَةٌ ذَكَرَهَا الزَّمَخْشَرِيُّ، وَنَقَلَهَا عَنْهُ طَبَانَةُ فِي كِتَابِه «مُعْجَمُ الْبَلاغَةِ الْعَرَبِيَّة» (ص٤٩)، قَالَ: فَائِدَةُ (أَمَّا) فِي الْكَلامِ أَنْ تُعْطِيه فَضْلَ تَوْكِيد، تَقُولُ: «زَيْدٌ ذَاهِبٌ»، فَإِذَا قَصَدْتَ تَوْكِيدَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ - لا مَحَالَةَ - ذَاهِبٌ، وَأَنَّهُ بِصَدَدِ الذَّهَاب، وَأَنَّهُ مِنْهُ عَزِيمَةٌ - قُلْتَ: «أَمَّا زَيْدٌ فَذَاهِبٌ».

(٢) تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ: الحُرُوفُ الزَّائِدَةُ إِذَا كَانَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، لا تُسَمَّىٰ زَوَائِدُ، بَلْ حُرُوفُ تَوْكِيد تَأَدُّبًا مَعَ كِتَابِ اللهِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ حُرُوفُ تَوْكِيدٍ فِي الأَصْلِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ زَوَائِدَ لاصْطِلاحِ اصْطَلَحَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ النَّحْو، فَهِيَ زَائِدَةٌ إِعْرَابًا لا مَعْنًى، وَإِنَّمَا الْمَعِيبُ الْمُنَزَّهُ عَنْهُ الْقُرْآنُ هُوَ الزَّائِدُ الَّذِي لا فَائِدَةَ مَعَهُ، فَيَكُونُ وُجُودُهُ كَعَدَمِه.

(د) مِنْ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٩١].

(هـ) الْبَاءُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

٨ - قد: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

٩ - السِّينُ، وَسَوْف: أَمَّا السِّينُ فَنَحْو قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطَّلاق: ٧]، وَأَمَّا سَوْفَ فَكَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٥٢].

١٠ - نُونا التَّوْكِيدُ[١]: وَقَدِ اجْتَمَعَتَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

١١ - تَكْرَارُ النَّفْيِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤][٢].

---

(١) أُحِبُّ أَنْ أَنْبِهَكَ هُنَا إِلَىٰ فَائِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّ نُونَ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةَ تُثْبَتُ فِي حَالَةِ الْوَقْفِ، وَحَالَةِ الْوَصْلِ، أَمَّا نُونُ التَّوْكِيدِ الخَفِيفَةِ فَتُثْبَتُ فِي حَالِ الْوَصْلِ فَقَطْ، أَمَّا فِي حَالِ الْوَقْفِ فَإِنَّنَا لا نَقِفُ عَلَيْهَا كَمَا نَقِفُ عَلَىٰ نُونِ التَّوْكِيدِ الثَّقِيلَةِ، وَإِنَّمَا نَقْلِبُهَا أَلِفًا، فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقِفَ عَلَىٰ قَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ فَإِنِّي أَقُولُ «لَنَسْفَعَا»، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقِفَ عَلَىٰ قَوْلِكَ: «لَأَفْعَلَنْ» - بِتَسْكِينِ النُّونِ -، تَقُولُ: «لَأَفْعَلَا»، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ لِصَاحِبِكَ: «لَتَشْرَبَنْ»؛ تَقُولُ: «لَتَشْرَبَا». انْظُرْ «بَلاغَتنا» (١/ ١٢٣).

(٢) التَّكْرَارُ يَكُونُ لِنُكْتَةٍ بَلاغِيَّةٍ: كَتَأْكِيدِ الإِنْذَارِ كَمَا فِي الْمِثَالِ، وَفِي «ثُمَّ» دَلالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الإِنْذَارَ الثَّانِي أَبْلَغُ مِنَ الأَوَّلِ تَنْزِيلاً لِبُعْدِ الْمَرْتَبَةِ مَنْزِلَةَ بُعْدِ الزَّمَانِ.

أَغْرَاضُ الْخَبَرِ

الأَصْلُ فِي الخَبَرِ أَنْ يُلْقَىٰ لأَحَدِ غَرَضَيْنِ:

١ - إِفَادَةُ المُخَاطَبِ الْحُكْمَ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ إِذَا كَانَ جَاهِلاً لَهُ، وَيُسَمَّىٰ ذَلِكَ الحُكْمُ (فَائِدَةَ الخَبَرِ)، كَقَوْلِ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «الْعِلْمُ ثَلاثَةٌ: كِتَابٌ نَاطِقٌ، وَسُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، وَلا أَدْرِي»(١).

٢ - إِفَادَةُ المُخَاطَبِ أَنَّ المُتَكَلِّمَ عَالِمٌ بِالحُكْمِ، وَيُسَمَّىٰ ذَلِكَ (لازِمَ الْفَائِدَةِ).

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا كَانَ لَكَ ثَلاثُ نِسَاءٍ، فَكَسَوْتَ اثْنَتَيْنِ مِنْهُنَّ، فَقَالَتْ لَكَ الثَّالِثَةُ: كَسَوْتَ نِسَاءَكَ إِلاَّ أَنَا.

فَزَوْجَتُكَ الثَّالِثَةُ لا تَقْصِدُ أَنْ تُفِيدَكَ فَائِدَةً، بَلْ إِنَّكَ تَعْلَمُهَا مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تُعْلِمُكَ هِيَ، فَأَنْتَ لَمْ تَسْتَفِدْ عِلْمًا بِالخَبَرِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا اسْتَفَدْتَ أَنَّ زَوْجَتَكَ الثَّالِثَةَ عَالِمَةٌ بِهِ.

وَقَدْ يُلْقَىٰ الْخَبَرُ عَلَىٰ خِلافِ الأَصْلِ لأَغْرَاضٍ أُخْرَىٰ تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، مِثْل:

١ - الاسْتِرْحَامُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٤].

٢ - إِظْهَارُ الضَّعْفِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي**﴾ [مريم: ٤].

٣ - إِظْهَارُ التَّحَسُّرِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ**﴾(٢) [آل عمران: ٣٦].

---

(١) «عُيُونُ الأَخْبَارِ» (٥ / ١٣٠).

(٢) إِنَّمَا تَحَسَّرَتْ وَتَحَزَّنَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ لَمَّا وَجَدَتْ ما فِي بَطْنِهَا أُنْثَىٰ لا ذَكَرًا؛ لأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ نَذَرَتْهُ عَتِيقًا =

٤ - التَّعْرِيضُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣][1].

٥ - الفَخْرُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

٦ - تحريكُ الهِمَّةِ إِلَىٰ مَا يَلْزَمُ تَحْصِيلُهُ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٧ - إِظْهَارُ السُّرُورِ بِمُقْبِلٍ، وَالشَّمَاتَةِ بِمُدْبِرٍ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

٨ - التَّذْكِيرُ بِمَا بَيْنَ المَرَاتِبِ مِنَ التَّفَاوُتِ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النِّسَاء: ٩٥].

٩ - الْوَعْظُ وَالإِرْشَادُ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحْمَن: ٢٦]

١٠ - التَّوْبِيخُ: كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَنَامُ حَتَّىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ: أَنْتَ تُصَلِّي الْغَدَاةَ بَعْدَ خُرُوجِ وَقْتِهَا.

= خَالِصًا للهِ، خَادِمًا لِلْكَنِيسَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يُقْبَلُ فِي النَّذْرِ إِلاَّ الذُّكُورُ دُونَ الأُنْثَىٰ، فَلَمَّا فَاتَهَا مَا كَانَتْ تَرْجُوهُ وَتُقَدِّرُهُ، تَحَسَّرَتْ عَلَيْهِ.

(١) أَيْ: يُعَرِّضُ بِهِ أَنَّهُ لا يَصْلُحُ إِلَهًا.

الإنْشَاءُ

الإنْشَاءُ مَا لا يَحْتَمِلُ صِدْقًا وَلا كَذِبًا، وَهُوَ قِسْمَان:

١ - طَلَبِيٌّ:

وَهُوَ الَّذِي يَسْتَدْعِي مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ فِي اعْتِقَادِ الْمُتَكَلِّمِ وَقْتَ الطَّلَبِ، وَيَنقَسِمُ إِلَىٰ خَمْسَةِ أَقْسَامٍ:

١ - **الأَمْرُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة: ١١٠].

٢ - **النَّهْيُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٣٢].

٣ - **الاسْتِفْهَامُ:** نَحْو: مَنْ أَوَّلُ طَبِيبٍ عَرَبِيٍّ؟.

٤ - **التَّمَنِّي:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي** ﴾ [الفجر: ٢٤].

٥ - **النِّدَاءُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ** ﴾ [الزُّمَر: ١٦].

٢ - غَيْرُ الطَّلَبِيِّ:

هُوَ الَّذِي لا يَسْتَدْعِي أَمْرًا حَاصِلاً وَقْتَ الطَّلَبِ، وَأَقْسَامُهُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

١ - **التَّعَجُّبُ**[١]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** (١٧) ﴾ [عبس: ١٧]، وَكَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾[٢] [البقرة: ٢٨].

---

(١) التعجُّبُ يكونُ قياسا بصيغتين: «ما أفعلهُ»، و«أفعلْ به»، ويكونُ سَماعيًا بصيغ كثيرة، نحو: «لله دَرُّهُ فارسًا!»، و«يا لَهُ» بحرًا!»، و«واها لأيام الصِّبا!»، و«قاتلهُ اللهُ من شاعرٍ!»... إلخ.

(٢) الجملةُ في الآية ليستْ من قبيلِ الإنشاء الطَّلبيِّ؛ لأنَّ الاستفهام فيها خرج عن حقيقته إلى التعجُّب مع الإنكار التقريعيِّ.

٢ - **المدحُ**: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **ولَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [النحل : ٣٠].

٣ - **الذَّمُّ**(١) : كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ** ﴾ [الحجرات : ١١].

٤ - **القَسَم**(٢) : ﴿ **بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ** ﴾ [التَّغَابن : ٧].

٥ - **صِيَغُ العُقُودِ**(٣) : كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ [الأحزاب : ٣٧].

٦ - **الرَّجَاءُ**(٤) : كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ** ﴾ [المائدة : ٥٢].

وَالْمَبْحُوثُ عَنْهُ فِي عِلْمِ المَعَانِي هُوَ الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ؛ لأَنَّ فِيهِ مِنَ المَزَايَا وَاللَّطَائِفِ مَا لَيْس فِي الإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلَبِيِّ أَخْبَارٌ فِي الأَصْلِ، نُقِلَتْ إِلَىٰ الإِنْشَاءِ؛ وَلِهَذَا لَمْ نُطِلِ الْبَحْثَ فِي أَقْسَامِه.

تَنْبِيهٌ: قَدْ تَكُونُ الْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةً لَفْظًا إِنْشَائِيَّةً مَعْنًى، وَعَلَىٰ ذَلِكَ تُعَدُّ فِي بَابِ الإِنْشَاءِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقَرَة : ١٩٧]، أَيْ: فَلا يَرْفُثْ وَلا يَفْسُقْ...، فَهُوَ نَهْيٌ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الخَبَرِ المَنْفِيِّ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنَ النَّهْيِ الصَّرِيحِ؛ لأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ المَنْهِيَّ حَقُّهُ أَنْ يُسَارِعَ إِلَىٰ الانْتِهَاءِ، فَكَأَنَّهُ انْتَهَىٰ عَنْهُ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - يُخْبِرُ بِعَدَمِ وُجُودِ المَنْهِيِّ عَنْهُ.

---

(١) المدْحُ وَالذَّمُّ يَكُونَانِ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: (نِعْمَ، وبِئْسَ)، وَمَا جَرَىٰ مَجْرَاهُمَا، نَحْو: (سَاءَ، حَبَّذَا، وَلا حَبَّذَا، وَالأَفْعَال المُحوَّلَة إِلَىٰ فَعُلَ، نَحْو: خَبُثَ فلانٌ أَصْلاً).

(٢) القَسَمُ يَكُونُ بِالْوَاوِ، وَالْبَاءِ، وَالتَّاءِ، وبِغَيْرِهَا.

(٣) صِيَغُ العُقودِ تَكُونُ بِالمَاضِي كَثِيرًا، نَحْوُ: (بِعْتُ، واشْتَرَيْتُ، وَأَعْتَقْتُ)، وَتَكُونُ بِغَيْرِ المَاضِي قَلِيلا، نَحْو: (أَنَا بَائِعٌ).

(٤) الرَّجَاءُ يَكُونُ بِـ (عَسَىٰ، وَحَرَىٰ، وَاخْلَولَقَ).

وكَقَوْلِه – تَعَالَىٰ – : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، أَيْ: لِيَتَرَبَّصْنَ، فَهُوَ أَمْرٌ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الخَبَرِ مُبَالَغَةً الحمل عَلَىٰ تَحْقِيقِه، وَإِيذَانًا بِوُجُوبِ الامْتِثَالِ، فَكَأَنَّهُنَّ قَدِ امْتَثَلْنَ الأَمْرَ، فَأَخْبَرَ بِوُقُوعِه.

وكَقَوْلِه – تَعَالَىٰ – : ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ [المنافقون: ٤]، أَيْ: اقْتُلْهُمْ اللَّهُمَّ، فَهُوَ أَمْرٌ دُعَائِيٌّ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الخَبَرِ تَأْكِيدًا وَمُبَالَغَةً.

الإنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ

١ - الأَمْرُ

الأَمْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هُوَ مَا إِذَا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَأْمُورُ بِهِ سُمِّيَ عَاصِيًا، وَهُوَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَلاغَةِ: الطَّلَبُ الجَازِمُ لِلْفِعْلِ عَلَىٰ وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ[١] مِمَّنْ هُوَ دُونَ الآمِرِ.

وَلَهُ أَرْبَعُ صِيَغٍ:

١ - **فِعْلُ الأَمْرِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾ [مريم: ١٢].

٢ - **الْمُضَارِعُ الْمَجْزُومِ بِلامِ الأَمْرِ:** كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾ [الطلاق: ٧].

٣ - **اسْمُ فِعْلِ الأَمْرِ**[٢]: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥].

٤ - **الْمَصْدَرُ النَّائِبُ عَنْ فِعْلِ الأَمْرِ:** ﴿**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ [محمد: ٤].

---

(١) الْمُرَادُ بِالاسْتِعْلاءِ هُنَا: عَدُّ الآمِرِ نَفْسَهُ عَالِيًا، سَوَاءٌ أَكَانَ عَالِيًا فِي الْوَاقِعِ أَمْ لا، وَلِهَذَا يُنْسَبُ إِلَىٰ سُوءِ الأَدَبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِيًا (أَيْ: لا يَصْلُحُ أَنْ يُخَاطِبَ مَنْ لَيْسَ بِعَالٍ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، أَوْ أَعْلَىٰ مِنْهُ بِالْمَنْزِلَةِ مُسْتَخْدِمًا صِيَغَ الأَمْرِ، وَإِلاَّ نُسِبَ إِلَىٰ سُوءِ الأَدَبِ).

لِهَذَا جَعَلُوا الأَمْرَ اسْتِعْلاءً مَعَ الأَدْنَىٰ، وَدُعَاءً مَعَ الأَعْلَىٰ، وَالْتِمَاسًا مَعَ النَّظِيرِ (أَيْ: مَنْ يُسَاوِيكَ مَنْزِلَةً)، وَعَلَيْهِ لا يَصْلُحُ اسْتِعْمَالُ صِيَغِ الأَمْرِ فِي الأُسْلُوبِ الخَطَابِيِّ، إِلاَّ إِذَا كَانَ مِنْ عَالٍ لَهُ مَكَانَتُهُ، أَوْ مِنْ وَالٍ أَمْرٌ لَهُ كَلِمَاتُهُ؛ فَالنَّاسُ يَنْفِرُونَ مِنْ هَذَا الأُسْلُوبِ، فَمِنَ الْحِكْمَةِ اسْتِخْدَامُ التَّرْغِيبِ، وَالتَّرْهِيبِ، وَالالْتِمَاسِ، وَالدُّعَاءِ، وَالأُسْلُوبِ الحَكِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَسَالِيبِ الْبَلاغِيَّةِ.

(٢) اسْمُ فِعْلِ الأَمْرِ مِنْهُ مَا هُوَ سَمَاعِيٌّ، مِثْلُ: (مَهْ)، (صَهْ)، (آمِينَ)، وَمِنْهُ مَا هُوَ قِيَاسِيٌّ، وَهُوَ عَلَىٰ صِيغَةِ (فَعَالِ) مِنَ الْفِعْلِ الثُّلاثِيِّ، مِثْلُ: «نَزَالِ» بِمَعْنَىٰ: انْزِلْ. وَشَذَّ مِنَ الرُّبَاعِيِّ: «دَرَاكِ» بِمَعْنَىٰ: أَدْرِكْ.

خُروجُ صيغِ الأمْرِ عَنْ مَعْنَاهَا:

صِيَغُ الأَمْرِ قَدْ تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَاهَا الأَصْلِيِّ إِلَىٰ مَعَانٍ أُخْرَىٰ، تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلامِ، وَقَرَائِنِ الأَحْوَالِ، مِثْل:

١ - **الدُّعَاءُ**: لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

٢ - **الالْتِمَاسُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ** ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٣ - **الإِرْشَادُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤ - **التَّهْدِيدُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [فصلت: ٤٠].

٥ - **الإِنْذَارُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [إبْرَاهِيمُ: ٣٠].

٦ - **التَّعْجِيزُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٣].

٧ - **الإِبَاحَةُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقَوْلِهِ - ﷺ -: «**قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، أَلاَ فَزُورُوهَا**[١]».

٨ - **التَّسْوِيَةُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا** ﴾ [الطور: ١٦].

٩ - **الإِكْرَامُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ** ﴾ [الحجر: ٤٦].

---

(١) إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ عَقِبَ النَّهْيِ كَانَ لِلإِبَاحَةِ لا لِلْوُجُوبِ.

١٠ - **الامْتِنَانُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ [النحل: ٤٦].

١١ - **النَّدْبُ** (١): كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا** ﴾ [النور: ٣٣].

١٢ - **التَّهَكُّمُ وَالإِهَانَةُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا** ﴾ (٢) [الإسراء: ٥]، وكَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)** ﴾ [الدُّخَان: ٤٩]. وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

فَغُضَّ الطَّرْفَ؛ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ (٣) فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابا

١٣ - **الدَّوَامُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة: ٦]، أَيْ: ثَبِّتْنَا عَلَيْهِ.

١٤ - **التَّمَنِّي**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

١٥ - **الاعْتِبَارُ**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وكَقَوْلِ الرَّقَاشِيِّ: «سَلِ الأَرْضَ: مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكِ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكِ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا».

١٦ - **التَّخْيِيرُ**: كَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

١٧ - **التَّأْدِيبُ**: كَقَوْلِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -: «**يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**».

---

(١) النَّدْبُ: هُوَ طَلَبٌ لا عَلَىٰ سَبِيلِ الجَزْمِ.

(٢) الأَمْرُ هُنَا للتَّعْجِيزِ - أَيْضًا -.

(٣) نُمَيْر - بِزِنَةِ زُبَيْرٍ -: أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلانَ، أَيْ: كُفَّ البَصَرَ ذُلاً ومَهَانَةً؛ فَلَسْتَ مِنْ أَهْلِ المَجْدِ والشَّرَفِ، وَغَضَّ مِنْ بَابِ رَدَّ، وَغَضَاضًا - بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ - وَغَضَاضَةً.

١٨ - التَّعْجِيبُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ ﴾ [الإسراء: ٤٨][(١)].

١٩ - التَّسْخِيرُ وَالتَّكْوِينُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الْبَقَرَة: ٦٥].

(١) هُنَا فائدةٌ: وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الصِّيَغُ قَدْ يَتَدَاخَلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا الآخَرُ، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ عَلَىٰ سَبِيلِ الحَصْرِ، فَهُنَاكَ صِيَغٌ كَثِيرَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَفَادَ مِنَ السِّيَاقِ: كَالتَّلَهُّفِ، وَالتَّحَسُّرِ، والتَّفْوِيضِ، والتَّكْذِيبِ، وَالمشُورَةِ، وَالتَّسْلِيمِ. وَكُتُبُ أُصُولِ الْفِقْهِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الأَغْرَاضِ. انظُرْ «بَلاغتنا» (١/ ١٥٧).

٢ - النَّهْيُ

هُوَ: الطَّلَبُ الجَازِمُ لِتَرْكِ الْفِعْلِ عَلَىٰ وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ(١).

وَلَهُ صِيَغَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ: المُضَارِعُ مَعَ (لا) النَّاهِيَة، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ [الأَعْرَافُ: ٥٦].

وَاعْلَمْ - أَخِي - أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ قَدْ تَخْرُجُ عَنْ أَصْلِ مَعْنَاهَا إِلَىٰ مَعَانٍ أُخَرَ، تُسْتَفَادُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلامِ، وَقَرَائِنِ الأَحْوَالِ، مِثْلُ:

١ - الدُّعَاء: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٢ - الالتماس: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الاعراف: ١٤٢].

٣ - الإرشاد: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، وقَوْلِه - ﷺ -: «لا تَأْكُلِ الْبَصَلَ النِّيِّئَ».

٤ - التَّوبيخ: كقول أبي الأسود:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ - إِذَا فَعَلْتَ - عَظِيمُ

٥ - التَّيْئِيس: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧].

---

(١) النَّهْيُ حَقِيقَةٌ فِي التَّحْرِيمِ - كَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ العِلْمِ - فَمَتَىٰ وَرَدَتْ صِيغَةُ النَّهْيِ، أَفَادَت الحَظْرَ وَالتَّحْرِيمَ عَلَىٰ الْفَوْرِ، وَأَمَّا الأَمْرُ فَيُسْتَفَادُ فِيهِ الْفَوْرُ أَوِ التَّرَاخِي مِنَ الْقَرَائِنِ، وهُوَ كَالأَمْرِ، فَيَكُونُ اسْتِعْلاءً مَعَ الأَدْنَىٰ، وَدُعَاءً مَعَ الأَعْلَىٰ، وَالْتِمَاسًا مَعَ النَّظِيرِ. انْظُرْ «جَوَاهِرَ الْبَلاغَة» (ص٥٥).

٦ - **الائْتِنَاس**: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠].

٧ - **التَّحْقِير**: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ** ﴾ [الحجر: ٨٨].

٨ - **الْكَرَاهَة**: كَقَوْلِه - ﷺ -: «**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ**».

٩ - **التَّمَنِّي**: كَقَوْلِ الخَنْسَاءِ:

أَعَيْنِيَّ جُودَا وَلَا تَجْمُدَا ... أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَىٰ؟!

١٠ - **التَّهْدِيدُ**: كَقَوْلِ الأَبِ لابْنِهِ: لا تَمْتَثِلْ أَمْرِي.

٣ - الاستِفْهَامُ

الاستِفْهَامُ: هُوَ طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ مَجْهُولٍ، لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ، وَيَحْتاجُ إِلَىٰ جَوَابٍ، وَذَلِكَ بِأَدَاةٍ مِنْ إِحْدَىٰ أَدَوَاتِه، وَهِيَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ أَدَاةٍ: ظَرْفَان، وهُمَا: (الهَمْزَةُ، وَهَلْ)، وَتِسْعَةُ أَسْمَاءٍ، وَهِيَ: (مَنْ، وَمَا، وَمَتَىٰ، وَأَيْنَ، وَأَنَّىٰ، وَأَيَّانَ، وَكَيْفَ، وَكَمْ، وَأَيٌّ)(١).

وَتَنْقَسِمُ بِحَسَبِ الطَّلَبِ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْسَام:

١ - مَا يُطْلَبُ بِهِ التَّصَوُّرُ تَارَةً، وَالتَّصْدِيقُ تَارَةً أُخْرَىٰ، وَهُوَ: (الْهَمْزَةُ).

٢ - مَا يُطْلَبُ بِهِ التَّصْدِيقُ فَقَطْ، وَهُوَ: (هَلْ).

٣ - مَا يُطْلَبُ بِهِ التَّصَوُّرُ فَقَطْ، وَهُوَ: بَقِيَّةُ أَلْفَاظِ الاسْتِفْهَامِ.

---

(١) «اعلمْ أنَّ هَذِه الأَدَوَات تَنْقَسِمُ مِنْ حَيْثُ المُسْتَفهمُ عَنْهُ إِلىٰ أَقْسَامٍ ثَلاثَة:

(أ) مِنْهَا مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ الحُكْمِ - وَهُوَ إِثْبَاتُ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، أَوْ نَفْيُهُ عَنْهُ - فَتَقُولُ: هَلْ تُحِبُّ الْعِلْمَ؟، هَلْ يُسَافِرُ أَخُوكَ؟، هَلْ تَسْتَيْقِظُ الأُمَّةُ؟. فَأَنْتَ - فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ - لَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنْ مُفْرَدٍ، فَلَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنِ المَحَبَّةِ أَوِ الْعِلْمِ، وَلَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنِ السَّفَرِ أَوْ عَنْ أَخِيكَ، وَلَمْ تَسْتَفْهِمْ عَنِ الاسْتِيقَاظِ أَوْ عَنِ الأُمَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِفْهَامُكَ عَنِ الحُكْمِ الَّذِي هُوَ إِثْبَاتُ حُبِّكَ لِلْعِلْمِ، وَسَفَرِ أَخِيكَ، وَاسْتِيقَاظِ الأُمَّةِ. وَهَذَا الَّذِي يُعَبِّرُونَ عَنْهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَهُوَ إِدْرَاكُ النِّسْبَةِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَيْ: لِلتَّثَبُّتِ مِنْ حُصُولِه.

(ب) مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ مُفْرَدٍ، تَقُولُ - مَثَلاً -: مَا الْبُرُّ؟. فَيُقَالُ لَكَ: الْقَمْحُ. وَمَا الْقَسْوَرَةُ؟. فَيُقَالُ لَكَ: الأَسَدُ. فَأَنْتَ تَرَىٰ هُنَا أَنْ لا حُكْمَ، فَلَمْ نُثْبِتْ شَيْئًا لِشَيْءٍ، وَهَذَا مَا يُسَمُّونَهُ التَّصَوُّرَ.

(جـ) مَا يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ هَذَيْنِ مَعًا، (أَعْنِي: عَنِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي فِيهَا إِثْبَاتُ حُكْمٍ أَوْ نَفْيُهُ، وَهُوَ التَّصْدِيقُ، وَعَنِ الْمُفْرَدِ الَّذِي هُوَ التَّصَوُّرُ)، وَهَذَا الْقِسْمُ الَّذِي يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ التَّصَوُّرِ وَالتَّصْدِيقِ هُوَ (الْهَمْزَة). أَمَّا الَّذِي يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ التَّصْدِيقِ وَحدهُ فَهُوَ (هَلْ)، وَأَمَّا الَّذِي يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ التَّصَوُّرِ وَحْدَهُ فَهُوَ بَاقِي الأَدَوَات». انظُرْ «بَلاغَتَنَا» (١/ ١٧٣ - ١٧٤).

أدوات الاستفهام:

١ - الهمزة: يُطلب بها أحد أمرين: التصوُّر، أو التصديق (أي: المُفرد، أو الحُكْم).

(أ) فالتصديق: نحو: أطلعت الشمس؟، أجاءَ الأستاذُ؟، أفهمتَ الدرسَ؟. فأنتَ إنَّما تسألُ عن الحُكْم، وهو إثباتُ حُكْمٍ لشيءٍ، أو نفيُه عنه. ويكثُرُ التصديقُ - كما في الأمثلة السَّالفة - في الجُمَلِ الفعليَّة، ويَقِلُّ في الجُمَلِ الاسميَّة، نحو: أزيدٌ مُسافرٌ؟.

(ب) والتصوُّر: نحو: أعبدُ الله مُسافرٌ أم عبدُ الرَّحمن؟. فأنتَ هُنا لم تسألْ عن الحُكْم، ولكنَّك لا تعرف على التَّعيين مَنْ يكونُ المُسافرُ.

ويجبُ أنْ تأتي همزةُ التَّصوُّرِ متلوَّةً بالمُفرد المسئول عنه[١]، ويُذكرُ له - في الغالب - مُعادلٌ بعدَ (أم) العاطفة[٢]، فتُسمَّى متَّصلةً[٣][٤].

---

(١) المُفرَدُ المسئولُ عنهُ بهمزة التَّصوُّر يأتي - دائمًا - بعدَها مُباشرةً، سواءٌ أكانَ:

أ - مُسندًا إليه، نحو: أأنتَ خطبتَ أم عبدُ الله؟.

ب - أم مُسندًا، نحو: أأكرمتَ عبدَ الله أم أهنتَه؟، ونحو: أمسافرٌ أنتَ أم مُقيمٌ؟. المسئولُ عنهُ هو ما يَلي الهمزةَ، وهو الفعلُ (أكرمتَ) وليسَ عبدَ الله، فالمُعادلُ للفعلِ وليسَ للاسم.

ج - أم مفعولاً، نحو: أعليًّا أكرمتَ أم محمَّدًا؟.

د - أم حالاً، نحو: أراكبًا حضرتَ أم ماشيًا؟.

هـ - أم ظرفًا، نحو: أيومَ الخميسِ قدمتَ أم يومَ الجمعة؟.

و - أم جارًّا ومجرورًا، نحو: أفي دارِ عليٍّ نزلتَ أم في دارِ سعيد؟.

(٢) يمتنعُ ذكرُ المُعادلِ بعدَ همزةِ التَّصديقِ أو هل، فإنْ وقعتْ (أم) بعدَهما، كانتْ مُنقطعةً للإضرابِ كـ(بلْ)، وعندئذٍ لابدَّ من وقوعِ الجُملةِ بعدَها، فإنْ وقعَ بعدَها مُفردٌ قُدِّرَ بجُملةٍ، نحو: أجاءَ زيدٌ؟ أمْ عمرٌو، أيْ: بلْ جاءَ عمرٌو.

(٣) أيْ: أنَّ ما بعدَها يكونُ داخلاً في حيِّزِ الاستفهامِ السَّابقِ عليها.

(٤) فائدةٌ: الهمزةُ أصلُ أدواتِ الاستفهام؛ ولهذا خُصَّتْ بجوازِ حذفِها، سواءٌ تقدَّمتْ على (أم) كقولِ الخنساء: =

٢ - هَلْ: يُطْلَبُ بِهَا التَّصْدِيقُ فَقَطْ[١]، تَقُولُ: هَلْ سَافَرَ عَبْدُ اللهِ؟، وَلا تَقُولُ: هَلْ عَبْدُ اللهِ مُسَافِرٌ أَمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ؟.

وَالأَدَوَاتُ الآتِيَةُ كُلُّهَا لِلتَّصَوُّرِ، وَهِيَ:

٣ - مَا: مَوْضُوعَةٌ لِلاسْتِفْهَامِ عَنْ غَيْرِ الْعُقَلاءِ، وَيُطْلَبُ بِهَا:

(أ) شَرْحُ الاسْمِ بِلَفْظٍ مُرَادِفٍ، نَحْوَ: مَا الضَّيْغَمُ؟. فَيُجَابُ: الأَسَدُ.

(ب) أَوْ بَيَانُ حَقِيقَةِ الْمُسَمَّىٰ، نَحْوَ: مَا الْوَاجِبُ؟. فَيُجَابُ: مَا اسْتَحَقَّ فَاعِلُهُ الثَّوَابَ، وَتَارِكُهُ الْعِقَابَ.

(ج) أَوْ بَيَانُ صِفَتِهِ، نَحْوَ: مَا زَيْدٌ؟. فَيُجَابُ - مَثَلاً -: شَاعِرٌ.

٤ - مَنْ: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ أَحَدِ الْعُقَلاءِ، نحو: مَنْ مُؤَلِّفُ كِتَابِ زَادِ الْمَعَادِ؟، مَنْ قَائِدُ مَعْرَكَةِ الْقَادِسِيَّةِ؟.

= قَـذَىً بِعَـيْنَيْكَ أَمْ بِالْعَـيْنِ عُـوَّارُ؟ أَمْ ذَرَّفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَـا الدَّارُ؟

أَيْ: أَقَذًى.

أَمْ لَمْ تَتَقَدَّمْهَا، كَقَوْلِ الْكُمَيْتِ:

طَرِبْتُ، وَمَا شَـوْقًا إِلَىٰ الْبِيضِ أَطْرَبُ وَلا لَعِبًـا مِنِّي، وَذُو الشَّـيْبِ يَلْعَبُ؟

أَيْ: أَوَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟. وَمِنْهُ قَوْلُهُ - ﷺ - لِجِبْرِيلَ - كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ -: «وَإِنْ زَنَىٰ؟، وَإِنْ سَرَقَ؟». أَيْ: أَوَ إِنْ زَنَىٰ؟، أَوَ إِنْ سَرَقَ؟.

(١) «هَلْ: أَدَاةُ اسْتِفْهَامٍ، وَهِيَ لِطَلَبِ (التَّصْدِيقِ) فَحَسْبُ، وَتَدْخُلُ عَلَىٰ الْجُمْلَتَيْنِ: الْفِعْلِيَّةِ، وَالاسْمِيَّةِ، نَحْوَ: هَلْ سَافَرَ إِبْرَاهِيمُ؟، وَهَلْ إِبْرَاهِيمُ مُسَافِرٌ؟. إِذَا كَانَ الْمَطْلُوبُ التَّصْدِيقَ بِثُبُوتِ السَّفَرِ لإِبْرَاهِيمَ. وَلاخْتِصَاصِهِمَا بِطَلَبِ (التَّصْدِيقِ) امْتَنَعَ الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ السُّؤَالِ عَنِ التَّصَوُّرِ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ: هَلْ إِبْرَاهِيمُ مُسَافِرٌ أَمْ خَالِدٌ؟ لأَنَّ (أَمْ) هُنَا وَقَعَ بَعْدَهَا مُفْرَدٌ؛ فَدَلَّ عَلَىٰ كَوْنِهَا مُتَّصِلَةً، وَالْمُتَّصِلَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ كَوْنِ السُّؤَالِ عَنِ التَّصَوُّرِ؛ لأَنَّهَا لِطَلَبِ تَعْيِينِ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ، حِينَ لا يُعْلَمُ مَنْ وَقَعَتْ مِنْهُ النِّسْبَةُ مِنْهُمَا بَعْدَ الْعِلْمِ بِأَصْلِ تِلْكَ النِّسْبَةِ، وَأَمَّا (هَلْ) فَهِيَ لِطَلَبِ أَصْلِ النِّسْبَةِ، فَمُقْتَضَاهَا جَهْلُ ذَلِكَ الأَصْلِ، إِذْ لا يُسْأَلُ عَنْ مَعْلُومٍ، وَمُقْتَضَىٰ (أَمْ) الْمُتَّصِلَةِ الْعِلْمُ بِهِ فَتَنَافَيَا، فَلا يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا فِي تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ». انظُرْ «مُعْجَمَ الْبَلاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ» (ص٧٠٢).

٥ - مَتَىٰ: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ الماضي، نَحْو: مَتَىٰ دَخَلْنَا دَارَ الحَديث؟.
وَتُسْتَعْمَلُ - أَيْضًا - لِتَعْيِينِ الزَّمَانِ المُسْتَقْبَلِ، نَحْو: مَتَىٰ نَطْلُبُ الْعِلْمَ؟.

٦ - أَيَّانَ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ الحَالِ، وَلا تَكُونُ إِلاَّ فِي مَوْضِعِ التَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾ [القيامة: ٦]، فَقَدِ اسْتُعْمِلَتْ (أَيَّانَ) مَعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِتَهْوِيلِ وَتَفْخِيمِ شَأْنِهِ.

٧ - كَيْفَ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ الحَالِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴾ [النساء: ٤١].

٨ - أَيْنَ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ المَكَانِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ** ﴾ [الأنعام: ٢٢].

٩ - كَمْ: تُسْتَعْمَلُ لِتَعْيِينِ الْعَدَدِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **كَمْ لَبِثْتُمْ** ﴾ [الكهف: ١٩].

١٠ - أنَّى: تَأْتِي لِثَلاثَةِ مَعَانٍ، فَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَىٰ:

(أ) «كَيْفَ»، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا** ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

(ب) وَ«مِنْ أَيْنَ» كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا** ﴾ [آل عمران: ٣٧].

(ج) وَ«مَتَىٰ»، كَقَوْلِكَ: أَنَّىٰ يَأْتِي عَبْدُ اللهِ؟.

١١ - أي: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ أَحَدِ الْمُتَشَارِكَيْنِ فِي أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٨١]، وَهِيَ بِحَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ، فَيُسْأَلُ بِهَا عَنْ:

(أ) الزَّمَان، نَحْو: أَيُّ الأَيَّامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟.

(ب) المَكَان، نَحْو: أَيُّ الْبِلادِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟.

(ج) الحَال، نَحْو: عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ أَصْبَحْتَ؟.

(د) الْعَدَد، نَحْو: أَيَّ عَشْرَةٍ تَأْخُذُ؟.

(هـ) الْعَاقِل، نَحْو: قَوْلِه -تعَالَىٰ-: ﴿ **أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا** ﴾ [التوبة: ١٢٤].

(و) غَيْرُ الْعَاقِلِ، نَحْو: قَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [المرسلات: ٥٠].

الأَغْرَاضُ الَّتِي تَخْرُجُ إِلَيْهَا أَدَوَاتُ الاسْتِفْهَامِ:

اعْلَمْ - أَخِي - أَنَّ الأَدَوَاتِ السَّابِقَةَ وُضِعَتْ لِلاسْتِفْهَامِ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْوَضْعِ إِلَىٰ أَغْرَاضٍ، يُمْكِنُ أَنْ تُفْهَمَ مِنَ السِّيَاقِ لِغَرَضٍ بَلاغِيٍّ.

وَأَهَمُّ هَذِهِ الأَغْرَاضِ:

١ - النَّفْيُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن: ٦٠](١).

٢ - الأَمْرُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩١](٢).

٣ - التَّسْوِيَةُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة: ٦].

٤ - النَّهْيُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ** ﴾ [التوبة: ١٣](٣).

---

(١) أَيْ: مَا جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان.

(٢) أَيْ: انْتَهوا.

(٣) أَيْ: لا تَخْشَوْهُمْ؛ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ، كَمَا أَنَّ الاسْتِفْهَامَ هُنَا لِلإِنْكَارِ التَّوْبِيخِيِّ - أَيْضًا -.

٥ - الإنْكَارُ [١] : كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

٦ - التَّشْوِيقُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠].

٧ - الاسْتِئْنَاسُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [٢] [طه: ١٧].

٨ - التَّقْرِيرُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [٣] [الشرح: ١].

٩ - التَّهْوِيلُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

١٠ - الاسْتِبْعَادُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ⑬ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ⑭ ﴾ [الدخان: ١٣، ١٤].

١١ - التَّعْظِيمُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [٤] [البقرة: ٢٥٥].

١٢ - التَّهَكُّمُ والتَّحْقِيرُ: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١].

---

(١) الإنْكَارُ إذَا وَقَعَ فِي الإثْبَاتِ يَجْعَلُهُ نَفْيًا، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبْرَاهِيمُ: ١٠]، أَيْ: لا شَكَّ فِيه، وَإِذَا وَقَعَ فِي النَّفْيِ يَجْعَلُهُ إثْبَاتًا، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [الضُّحَىٰ: ٦]، أَيْ: قَدْ وَجَدَنَاكَ. وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ: أَنَّ إنْكَارَ الإثْبَاتِ وَالنَّفْيِ نَفْيٌ لَهُمَا، وَنَفْيُ الإثْبَاتِ نَفْيٌ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إثْبَاتٌ.

(٢) الاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّقْرِيرِ - أَيْضًا - لِتَثْبِيتِ الحُجَّةِ عَلَىٰ مُوسَىٰ - عليه السلام - بِالْمُعْجِزَةِ بِالْعَصَا بَعْدَمَا أَقَرَّ وَاعْتَرَفَ بِحَقِيقَتِهَا، وَإِلَّا فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا هِيَ فِي الأَزَلِ.

(٣) أَيْ: قَدْ شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ؛ فَالاسْتِفْهَامُ إذَا دَخَلَ عَلَىٰ النَّفْيِ قَرَّرَهُ.

(٤) الاسْتِفْهَامُ هُنَا - أَيْضًا - لِلإنْكَارِ التَّقْرِيعِيِّ عَلَىٰ مَنْ يَزْعُمُ أَنْ أَحَدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَفَاعَةٍ، وَيُفِيدُ - أَيْضًا - التَّعْجِيزَ؛ فَإِنَّ الْغَرَضَ تَحَدِّي أَيِّ إنْسَانٍ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ مَقَامِ الشَّفَاعَةِ إلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

١٣ - التَّعَجُّبُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَأَلِدُ وأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود: ٧٢].

١٤ - الاسْتِبْطَاءُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

١٥ - التَّمَنِّي: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

١٦ - التَّنْبِيهُ عَلَى الخَطَإِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

١٧ - التَّنْبِيهُ عَلَى الْبَاطِلِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف: ٤٠].

١٨ - التَّنْبِيهُ عَلَى طَرِيقِ الضَّلَالِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦][(١)].

١٩ - الْوَعِيدُ وَالتَّخْوِيفُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦][(٢)].

٢٠ - التَّكْثِيرُ: كَقَوْلِ أَبِي الْعَلاءِ الْمَعَرِّيِّ:

صَاحِ[(٣)]، هَذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ الرَّحْـ ـبَ[(٤)]، فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟[(٥)]

---

(١) وَيَدْخُلُ فِيهِ الإِنْكَارُ التَّوْبِيخِيُّ.

(٢) وَيَدْخُلُ فِيهِ الإِنْكَارُ التَّقْرِيرِيُّ، فَالأَغْرَاضُ قَدْ تَتَدَاخَلُ، فَقَدْ يَكُونُ التَّقْرِيرُ مَعَ التَّوْبِيخِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ التَّعَجُّبِ، وَهَكَذَا.

(٣) صَاحِ: أَصْلُهَا (صَاحِبِ) نُودِيَتْ بِحَرْفِ نِدَاءٍ مُقَدَّرٍ نِدَاءَ تَرْخِيمٍ بِحَذْفِ الْبَاءِ، وَتَرْخِيمُهَا شَاذٌّ؛ لأَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَلَمٍ، وَلَكِنَّهَا لَمَّا كَثُرَ نِدَاؤُهَا، وَاسْتَفَاضَ تَدَاوُلُهَا، سَاغَ تَرْخِيمُهَا، إِذِ الإِنْسَانُ لا يَنْفَكُّ فِي سَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ مِنْ صَاحِبٍ يُعِينُهُ، فَيُنَادِيهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

(٤) الرَّحْبُ - بِالْفَتْحِ -: الْمَكَانُ الْمُتَّسِعُ.

(٥) وَيَدْخُلُ فِي التَّكْثِيرِ التَّعَجُّبُ.

٤ - التَّمَنِّي

التَّمَنِّي: هُوَ طَلَبُ حُصُولِ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِيلاً، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) ﴾ [الأنعام: ٢٧]، أَوْ مُمْكِنًا لا يُتَوَقَّعُ حُصُولُهُ (١)، كَقَوْلِهِ - تعَالَىٰ -: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ [القَصَص: ٧٩].

وَلِلتَّمَنِّي أَرْبَعُ صِيَغٍ: وَاحِدَةٌ أَصْلِيَّةٌ، وَهِيَ: «لَيْتَ».

وَثَلاثٌ غَيْرُ أَصْلِيَّةٍ (نَائِبَةٌ عَنْهَا)، وَيُتَمَنَّىٰ بِهَا لِغَرَضٍ بَلاغِيٍّ (٢)، وَهِيَ:

١ - هَلْ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [الأعراف: ٥٣].

٢ - لَوْ: (٣) كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

٣ - لَعَلَّ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

---

(١) فَلا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَيْتَ غَدًا يَجِيءُ؛ لأَنَّ المُتَمَنَّى هُنَا مَحْتُومُ الْوُقُوعِ.

(٢) الْغَرَضُ الْبَلاغِيُّ فِي (هَلْ)، و(لَعَلَّ): إِبْرَازُ المُتَمَنَّىٰ - لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِهِ وَالتَّشَوُّقِ إِلَيْهِ - فِي صُورَةِ المُسْتَفْهَمِ عَنْهُ المُمْكِنِ المَرْجُوِّ حُصُولُهُ، الَّذِي لا يُجْزَمُ بِانْتِفَائِهِ.

وَأَمَّا الْغَرَضُ فِي (لَوْ): فَالإِشْعَارُ بِعِزَّةِ المُتَمَنَّىٰ نَدْرَتِهِ؛ لأَنَّ المُتَكَلِّمَ يُبْرِزُهُ فِي صُورَةِ الممْنُوعِ الَّذِي لا يُوجَدُ، إِذْ أَنَّ (لَوْ) تَدُلُّ - بِأَصْلِ وَضْعِهَا - عَلَىٰ امْتِنَاعِ الشَّرْطِ.

(٣) هُنَا فَائِدَةٌ، وَهِيَ: أَنَّ الأَدَوَاتِ: (هَلاَّ، وَأَلاَّ - أَصْلُهَا: هَلاَ قُلِبَتِ الهَمْزَةُ هَاءً - ، وَلَوْلا، وَلَوْمَا) - مُرَكَّبَةٌ مِنْ (هَلْ، وَلَوْ) مَعَ (لا، وَمَا)؛ لِتَدُلَّ عَلَىٰ التَّمَنِّي، وَيَزُولُ احْتِمَالُ الاسْتِفْهَامِ والشَّرْطِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنَ التَّمَنِّي مَعْنَىٰ التَّنْدِيمِ وَالتَّوْبِيخِ فِي الماضِي، كَقَوْلِهِ - تعَالَىٰ -: ﴿ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ [النُّور: ١٣]. وَمَعْنَىٰ التَّخْصِيصُ فِي المُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ ﴾ [الحِجْر: ٧].

وَلا يُتَمَنَّىٰ بـ(هَلْ، وَلَوْ، وَلَعَلَّ) إلاَّ فِي المَقْطُوعِ بِعَدَمِ وُقُوعِهِ؛ لِئَلاَّ تُحْمَلَ عَلَىٰ مَعَانِيهَا الأَصْلِيَّةِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهَا لِلتَّمَنِّي نَصْبُ المُضَارِعِ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ فِي جَوَابِهِ.

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ المَحْبُوبُ مِمَّا يُرْجَىٰ حُصُولُهُ كَانَ طَلَبُهُ تَرَجِّيًا، وَلَهُ أَدَاتَانِ:

١ - لَعَلَّ: (١) كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا** ﴾ [الطلاق: ١].

٢ - عَسَىٰ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ** ﴾ [المائدة: ٥٢].

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِيهِ «لَيْتَ» لِغَرَضٍ بَلاغِيٍّ.

---

(١) الغَرَضُ هُوَ: إبْرَازُ المَرْجُوِّ فِي صُورَةِ المُسْتَحِيلِ مُبَالَغَةً فِي بُعْدِ نَيْلِهِ، كَقَوْلِ المُتَنَبِّي:

فَيَا لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... مِنَ البُعْدِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ المَصَائِبِ

وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ - أَيْضًا - لِلتَّنَدُّمِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾** ﴾ [الفُرْقان: ٢٧، ٢٨].

٥ - النِّدَاءُ

تَعْرِيفُهُ:

هُوَ طَلَبُ الإِقْبَالِ بِحَرْفٍ نَابَ مَنَابَ «أَدْعُو»[١] مَلْفُوظًا به، نَحْو: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هُود: ٧٦]. أَوْ مُقَدَّرًا، نَحْو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يُوسُف: ٢٩].

وأدواتُهُ ثمانٍ:

الهَمْزَة، وأَيْ، ويَا، وآ، وآيْ، وأَيَا، وهَيَا، ووَا.

أَقْسَامُهُ:

(أ) نداءُ القَريب[٢] لَهُ أداتان:

١ - الهمزة: كَقَوْلِ عَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ خُفَافٍ الْبُرْجُمِيِّ:

أَبُنَيَّ، إِنَّ أَبَاكَ كَارِبُ يَوْمِهِ[٣] فَإِذَا دُعِيتَ إِلَىٰ المَكَارِمِ فَاعْجَلِ

٢ - أَيْ[٤]: نَحْو: أَيْ أَخِي، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ.

---

(١) الجُمْلَةُ فِي النِّدَاءِ تَتَكَوَّنُ مِنَ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فيه، نَابَ عَنْهُمَا حَرْفُ النِّدَاءِ، فَإِذَا قُلْتَ: «يَا عَبْدَ اللهِ»، وَأَرَدْتَ اسْتِخْرَاجَ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، فَإِنَّ الْمُسْنَدَ هُوَ الْفِعْلُ (أَدْعُو) الَّذِي نَابَ عَنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ (يَا)، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ الْفَاعِلُ، وَهُوَ (أَنَا).

(٢) سَوَاءٌ أَكَانَ الْقُرْبُ فِي الْمَكَانِ الْحِسِّيِّ، نَحْو: أُبُنَيَّ، اتَّقِ اللهَ، أَمِ الْمَعْنَوِيِّ، نَحْو: أَرَبَّ الْكَوْنِ، مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ!، فَاللهُ - جَلَّ شَأْنُهُ - أَقْرَبُ إِلَى الإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.

أَمَّا تَحْدِيدُ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فَمَتْرُوكٌ لِلْعُرْفِ الشَّائِعِ، سَوَاءٌ أَكَانَا حِسِّيَّيْنِ أَمْ مَعْنَوِيَّيْنِ.

(٣) كَارِبُ يَوْمِهِ: أَيْ مُقَارِبُ يَوْمِهِ الَّذِي يَمُوتُ فيه.

(٤) أَيْ: أَدَاةُ نِدَاءٍ لِلْقَرِيبِ عَلَىٰ خِلَافٍ بَيْنَ النُّحَاةِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي «الْمُغْنِي» (١/ ١٧٢): «حَرْفٌ لِنِدَاءِ الْبَعِيدِ، أَوِ الْقَرِيبِ، أَوِ الْمُتَوَسِّطِ، عَلَىٰ خِلَافٍ فِي ذَلِكَ».

(ب) نداءُ البَعيد، ولَهُ ستُّ أدوات:

١ - يَا [١]: نَحْو: يَا حَاضِراً فِي قَلْبِي.

٢ - أَيَا: كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَيَا جَبَلَيْ نَعْمَانَ[٢]، بِاللهِ خَلِّيَا ... نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصْ إِلَيَّ نَسِيمُهَا

٣ - هَيَا: نَحْو: هَيَا بُنَيَّ، مَتَىٰ تَعُودُ؟.

٤ - أَيْ: نَحْو: آيْ بُنَيَّ، هَلُمَّ إِلَيْنَا.

٥ - آ: نحو: آبُنَيَّ، هَلُمَّ إِلَيْنَا.

٦ - وَا: نحو: وابُنَيَّ، حَتَّامَ نَنْتَظِرُ عَوْدَتَكَ؟.

قَدْ يُنَزَّلُ البَعِيدُ مَنْزِلَةَ القَرِيبِ إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ حَاضِرٌ فِي الذِّهْنِ، لا يَغِيبُ عَنِ البَالِ، فَكَأَنَّهُ حَاضِرُ الجُثْمَانِ، لَيْسَ بِنَاءٍ عَنِ العِيَانِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَسُكَّانَ نَعْمَانِ الأَرَاكِ، تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِيَ سُكَّانُ

وَقَدْ يُعْكَسُ، فينزَّلُ القَرِيبُ مَنْزِلَةَ البَعِيدِ، إِشَارَةً إِلَىٰ:

١ - لِرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ: نَحْو: يا أَللهُ. فَكَأَنَّ بُعْدَ الرُّتْبَةِ وَالمَنْزِلَةِ فِي العِظَمِ بُعْدٌ فِي المَكَانِ وَالمَسَافَةِ.

---

(١) يَا: هِيَ أَكْثَرُ أَدَوَاتِ النِّدَاءِ اسْتِعْمَالاً؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّها مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ نِدَاءِ البَعِيدِ وَالقَرِيبِ، وَلَكِنِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ أَنَّهَا وُضِعَتْ لِنِدَاءِ البَعِيدِ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ - كَمَا فِي «شَرْحِ المُفَصَّلِ» لابنِ يَعِيشَ (١/ ١١٩) -: «هِيَ لِنِدَاءِ البَعِيدِ، أَوْ (مَا) هُنَا سَاقِطَةٌ بِمَنْزِلَتِهِ مِنْ نَائِمٍ أَوْ سَاهٍ، وَإِذَا نُودِيَ مَنْ عَدَاهُمْ، فَلِحِرْصِ المُنَادِي عَلَىٰ إِقْبَالِ المَدْعُوِّ عَلَيْهِ، وَمُفَاطَنَتِهِ لِمَا يَدْعُوهُ، وَقَوْلُ الدَّاعِي: «يَا رَبِّ»، و«يَا اللهُ»، اسْتِصْغَارٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، وَهَضْمٌ لَهَا، وَاسْتِبْعَادٌ عَنْ مَظَانِّ القَبُولِ وَالاسْتِمَاعِ، وَإِظْهَارٌ لِلرَّغْبَةِ فِي الاسْتِجَابَةِ بِالجُوَارِ».

(٢) نَعْمَان - بِالْفَتْحِ -: وَادٍ فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ يَخْرُجُ إِلَىٰ عَرَفَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: نَعْمَانُ الأَرَاكِ.

٢ - أو انحطاط رُتْبته: نَحْو: أَيَا هَذَا، تَأَدَّبْ. أَوْ: يَا كَسُولُ، اجْتَهِدْ. أَوْ: تَنَحَّ عَنِ الْكِرَامِ، يَا رَجُلُ. فَكَأَنَّ بُعْدَ دَرَجَتِهِ فِي الانْحِطَاطِ بُعْدٌ فِي الْمَسَافَةِ.

٣ - غَفْلَته وشُرُود ذهْنه: كَقَوْلِ الْبَارُودِيِّ:

يَأَيُّهَا السَّادِرُ الْمَزْوَرُّ مِنْ صَلَفٍ ... مَهْلاً؛ فَإِنَّكَ بِالأَيَّامِ مُنْخَدِعُ

وَقَدْ يُنَادَىٰ الْقَرِيبُ بِمَا لِلْبَعِيدِ تَقْوِيَةً لِلْمَعْنَىٰ وَتَوْكِيداً لَهُ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ هُوَ مُصْغٍ إِلَيْكَ، مُقْبِلٌ عَلَىٰ حَدِيثِكَ: إِنَّ الأَمْرَ - يَا عَلِيُّ - هُوَ مَا فَصَّلْتُهُ لَكَ.

قَدْ يَخْرُجُ النِّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ، فَيُرَادُ بِهِ مَعَانٍ أُخْرَىٰ، تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ بِمَعُونَةِ الْقَرَائِنِ، وَمِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ:

١ - الزَّجْرُ وَاللَّوْمُ: كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَفُؤَادِي، مَتَىٰ الْمَتَابُ؟، أَلَمَّا ... تَصْحُ وَالشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي أَلَمَّا؟

٢ - التَّحَسُّرُ وَالتَّوَجُّعُ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا** ﴾ [النَّبأ: ٤٠].

وَمِنَ التَّحَسُّرِ: قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يَا دَارَ عَاتِكَةٍ، حُيِّيتِ مِنْ دَارِ! ... سَيَّرْتُ فِيكِ وَفِيمَنْ فِيكِ أَشْعَارِي

٣ - الإِغْرَاءُ: نَحْو: يَا مَظْلُومُ، تَكَلَّمْ. (تَقُولُهُ لِمَنْ أَقْبَلَ يَتَظَلَّمُ).

٤ - التَّحَيُّرُ وَالتَّضَجُّرُ: كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلا انْجَلِي ... بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

وَقَوْلِ أَبِي النَّجْمِ الْعِجْلِيِّ:

يَا نَاقُ، سِيرِي عَنَقًا فَسِيحًا ... إِلَىٰ سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا

٥ - التَّعَجُّبُ: كَقَوْلِ كُلَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ التَّغْلَبِيِّ:

يَا لَكِ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرِ! خَلاَ لَكِ الجَوّ؛ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

٦ - الاسْتِغَاثَة: نَحْو: يَاللهِ لِلْيَتَامَىٰ.

٧ - النُّدْبَة: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٥٦].

القَصْرُ

تَعْرِيفُهُ:

تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ.

طُرُقُهُ الاصْطِلاحِيَّةُ:

١ - **النَّفْيُ وَالاسْتِثْنَاءُ:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهُنَا يَكُونُ المَقْصُورُ عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ.

٢ - **أَنَّمَا**[١]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨]، وَالمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ (إِنَّمَا) يَكُونُ مُؤَخَّرًا وُجُوبًا.

٣ - **العَطْفُ بِـ(لا) بَعْدَ الإِثْبَاتِ:** نَحْو: مُحَمَّدٌ شَاعِرٌ لا كَاتِبٌ.

وَالمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ (لا) العَاطِفَة هو الْوَاقِعُ قَبْلَهَا وَالْمُقَابِلُ لِمَا بَعْدَهَا.

٤ - **العَطْفُ بِـ(لَكِنْ) أَوْ (بَلْ) بَعْدَ النَّفْيِ:** نَحْو: مَا خَالِدٌ شَاعِرًا بَلْ مُحَمَّدٌ. وَنَحْو: ما مُحَمَّدٌ مُقِيمًا لَكِنْ مُسَافِرٌ.

وَالمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ (بَلْ) أَوْ (لَكِنْ) العَاطِفَتَيْنِ هُوَ الْوَاقِعُ بَعْدَهُمَا.

٥ - **تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ**[٢]: كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]، وَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿**عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**﴾ [يونس: ٨٥].

وَالمَقْصُورُ عَلَيْهِ هُنَا هُوَ الْمُقَدَّمُ.

---

(١) للقصر بـ(إنَّما) مَزِيَّةٌ عَلَىٰ العَطْف؛ لأنَّها تُفيدُ الإثْبَاتَ للشَّيْءِ وَالنَّفْيَ عَنْ غَيْرِهِ في وَقْتٍ وَاحِدٍ، بخلاف العَطْف فإنَّه يُفْهِمُ منْهُ الإثْبَاتَ أَوَّلاً، ثُمَّ النَّفْيُ ثَانِيًا، أَوْ عَكْسُهُ.

(٢) القَصرُ بِالتَّقْدِيمِ لا يَكُونُ بِأَدَاةٍ مِنْ أَدَوَاتِ القَصْرِ، بَلْ مَرْجِعُ ذلكَ إِلَىٰ الذَّوْقِ السَّلِيمِ.

أَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ:

يَنْقَسِمُ الْقَصْرُ مِنْ حَيْثُ طَرَفَاهُ - وَهُمَا الْمَقْصُورُ وَالْمَقْصُورُ عَلَيْهِ - إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

١ - قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَىٰ صِفَةٍ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ** ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وَنَحْوُ: إِنَّمَا الْبُحْتُرِيُّ شَاعِرٌ.

٢ - قَصْرُ صِفَةٍ عَلَىٰ مَوْصُوفٍ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾ [الأَعْرَاف: ٥٤]، وَنَحْوُ: لا رَزَّاقَ إِلاَّ اللهُ. وَنَحْوُ: إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْبُحْتُرِيُّ.

أَقْسَامُهُ بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ:

١ - حَقِيقِيٌّ: إِذَا اخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بِالْمَقْصُورِ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ، وَلَمْ يَتَعَدَّهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ أَصْلاً، نَحْوُ: لا خَالِقَ إِلاَّ اللهُ.

٢ - إِضَافِيٌّ: إِنْ كَانَ الاخْتِصَاصُ بِالْمَقْصُورِ عَلَيْهِ بِالإِضَافَةِ (أَيْ: بِالنِّسْبَةِ) إِلَىٰ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ، لا لِجَمِيعِ مَا عَدَاهُ، نَحْوُ: مَا خَالِدٌ إِلاَّ شُجَاعٌ[1].

وَالْقَصْرُ الإِضَافِيُّ يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُخَاطَبِ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

١ - قَصْرُ إِفْرَادٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ الشِّرْكَةَ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [النساء: ١٧١]. (رَدًّا عَلَىٰ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ).

٢ - قَصْرُ قَلْبٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ عَكْسَ الْحُكْمِ الَّذِي تُثْبِتُهُ بِالْقَصْرِ، فَتَقْلِبُ عَلَيْهِ اعْتِقَادَهُ، نَحْوُ: مَا مُسَافِرٌ إِلاَّ عَلِيٌّ. (رَدًّا عَلَىٰ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الْمُسَافِرَ خَالِدٌ لا عَلِيٌّ).

٣ - قَصْرُ تَعْيِينٍ: إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ يَتَرَدَّدُ فِي الْحُكْمِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: مَا عَلِيٌّ إِلاَّ مُسَافِرٌ. (رَدًّا عَلَىٰ مَنْ شَكَّ فِي السَّفَرِ أَوِ الإِقَامَةِ).

---

(١) فَخَالِدٌ مَقْصُورٌ عَلَىٰ صِفَةِ الشَّجَاعَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ صِفَةٍ أُخْرَىٰ مُعَيَّنَةٍ كَالْجُبْنِ - مَثَلاً -، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّهُ لا يَتَعَدَّىٰ الشَّجَاعَةَ إِلَىٰ جَمِيعِ مَا عَدَاهَا مِنَ الصِّفَاتِ: كَالسَّمَاحَةِ، وَالْحِلْمِ، وَالْحَيَاءِ...؛ فَإِنَّ الْوَاقِعَ خِلافُ ذَلِكَ، وَيَشْهَدُ بِبُطْلانِهِ.

الْوَصْلُ وَالْفَصْلُ[١]

حَقِيقَةُ الْوَصْلِ:

عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَىٰ أُخْرَىٰ بـ(الواو)، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [البقرة : ١٥] .

حَقِيقَةُ الْفَصْلِ:

تَرْكُ الْعَطْفِ، كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ [البقرة : ١٤ - ١٥] .

مَوَاضِعُ الْوَصْلِ:

يَجِبُ وَصْلُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ :

١ - إِذَا اتَّفَقَتِ الْجُمْلَتَانِ خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً، وَقُصِدَ إِشْرَاكُهُمَا فِي الْحُكْمِ الإِعْرَابِيِّ:
كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٢ - إِذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إِنْشَاءً، مَعَ الْمُنَاسَبَةِ التَّامَّةِ بَيْنَهُمَا، وَلَا مُقْتَضَى لِلْفَصْلِ:
كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ - : ﴿ **فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ** ﴾ [الشُّورَىٰ: ١٥].

---

(١) أَيْ أَخِي، لَاشَكَّ أَنَّ هَذَا الْفَصْلَ لَهُ شَأْنٌ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ، بَلْ إِنَّهُمْ جَعَلُوهُ حَدًّا لِلْبَلَاغَةِ، فَقَدْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُ الْبُلَغَاءِ، فَقَالَ: «هِيَ مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ».

وَخُلَاصَةُ ذَلِكَ: أَنَّ الصِّفَاتِ إِذَا كَانَتْ مُتَضَادَّةً أَوْ مُتَقَابِلَةً - سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ أَمْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ - فَإِنَّكَ تَأْتِي بِحَرْفِ الْعَطْفِ، وَإِلَّا فَلَا دَاعِيَ لِهَذَا الْحَرْفِ، وَكَذَلِكَ الثَّوَابِعُ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَوَسَّطَهَا حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعَطْفِ، وَأَحْسَنُ الْعَطْفِ مَا كَانَ فِي كَلَامٍ يُشْبِهُ التَّضَادَّ، وَالْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ إِذَا كَانَتْ حَالًا تَرَجَّحَ اقْتِرَانُهَا بِالْوَاوِ، إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ سَبَبٌ يُحَسِّنُ تَرْكَ هَذِهِ (الْوَاوِ): كَتَقَدُّمِ الْخَبَرِ، أَوْ تَقَدُّمِ حَالٍ مُفْرَدَةٍ، أَوْ أَدَاةٍ.

٣ - إذَا اخْتَلَفَتَا خَبَرًا وَإِنْشَاءً، وَكَانَ الْفَصْلُ مُوهِمًا خِلافَ الْمَقْصُودِ: كَقَوْلِكَ لِمَنْ سَأَلَكَ: هَلْ بَرِئَ زَيْدٌ مِنَ الْمَرَضِ؟: لا، وَشَفَاهُ اللهُ. فَتَرْكُ الْوَاوِ يُوهِمُ السَّامِعَ الدُّعَاءَ عَلَيْهِ، وَهَذَا خِلافُ الْمَقْصُودِ؛ لأَنَّ الْغَرَضَ الدُّعَاءُ لَهُ.

مَوَاضِعُ الْفَصْلِ:

وَيَجِبُ فَصْلُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ - أَيْضًا -:

١ - إذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ عَيْنَ الأُولَى:

(أ) **إِمَّا تَوْكِيدًا لَهَا**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿**فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [الطَّارق: ١٧]. فَالْمَانِعُ مِنَ الْعَطْفِ هُنَا اتِّحَادُ الْجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادًا تَامًّا، يَمْنَعُ عَطْفَ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ.

(ب) **وَإِمَّا بَيَانًا لَهَا**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ**﴾ [طه: ١٢٠].

(ج) **وَإِمَّا بَدَلاً مِنْهَا**: كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿**أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣)**﴾ [الشُّعَراء: ١٣٢، ١٣٣].

فَكُلُّ جُمْلَتَيْنِ فِي الأَمْثِلَةِ الثَّلاثَةِ السَّابِقَةِ يُقَالُ: إِنَّ بَيْنَهُمَا كَمَالَ الاتِّصَالِ.

٢ - إِذَا كَانَتِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ نَاشِئٍ مِنَ الأُولَى:

كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يُوسُف: ٥٣]، فَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ شَدِيدَةُ الارْتِبَاطِ بِالْجُمْلَةِ الأُولَى؛ لأَنَّهَا جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ نَشَأَ مِنَ الأُولَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِمَ لا تُبَرِّئِينَ؟، فَتُفْصَلُ عَنْهَا كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ، فَالْمَانِعُ مِنَ الْعَطْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وُجُودُ الرَّابِطَةِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ، فَأَشْبَهَتْ حَالَةَ اتِّحَادِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْمَوْضِعِ الأَوَّلِ؛ وَلِذَا يُقَالُ: إِنَّ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ شِبْهَ كَمَالِ الاتِّصَالِ.

٣ - إذَا كَانَتِ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ لا تَنْسَجِمُ مَعَ الأُولَى:

(أ) لعدم الْعلاقَة، نَحْو: الكِتَابُ فِي المَكْتَبَةِ، الْعُصْفُورُ فَوْقَ الشَّجَرَةِ.

(ب) أَوْ لاخْتلافهما خبرًا وإنْشاءً، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ [القصص: ٧٦] .

فَالمَانِعُ مِنَ الْعَطْفِ هُنَا هُوَ تَبَايُنُ الجُمْلَتَيْنِ؛ لأَنَّ الْعَطْفَ يَكُونُ لِلرَّبْطِ، وَلا رَبْطَ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ فِي شِدَّةِ التَّبَاعُدِ وَكَمَالِ الانْقِطَاعِ.

الإيجازُ والإطْنَابُ والمُسَاوَاةُ

١ - الإيجَازُ:

حَقِيقَتُهُ هُوَ: إجَاعَةُ اللَّفْظِ، وَإشْبَاعُ المَعْنَىٰ مَعَ الإبَانَةِ وَالإفْصَاحِ، كَقَوْلِه -تَعَالَىٰ-: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٥]، فَإنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ، وَلَفْظَهُ يَسِيرٌ (١).

أقْسَامُ الإيجَازِ:

(أ) **إيجازُ قِصَرٍ**: وَهُوَ مَا كَانَ لَفْظُهُ قَصِيرًا يَسِيرًا، وَمَعْنَاهُ كَثِيرًا دُونَ حَذْفٍ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)﴾ [الأعْرَاف: ١٩٩].

---

(١) قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ مَعْنَاهَا: أنَّ الإنْسَانَ مَتَىٰ عَلِمَ أنَّهُ إنْ قَتَلَ يُقْتَلُ، امْتَنَعَ عَنِ الْقَتْلِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ غَيْرِه.

وَهَذَا الْقَوْلُ يُفَضِّلُ مَا كَانَ يُعْتَبرُ عِنْدَ الْعَرَبِ أوْجَزَ كَلامٍ مِنْ هَذَا المَعْنَىٰ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: «الْقَتْلُ أنْفَىٰ لِلْقَتْلِ» مِنْ وُجُوه:

١ - أنَّ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أقَلُّ حُرُوفًا، إذْ حُرُوفُهَا المَنْطُوقَةُ عَشْرَة، وَحُرُوفُ «الْقَتْلِ أنْفَىٰ لِلْقَتْلِ» أرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا.

٢ - فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَصٌّ عَلَىٰ المَطْلُوبِ وَهُوَ الحَيَاة.

٣ - مَا يُفِيدُهُ تَنْكِيرُ ﴿حَيَاةٌ﴾ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَذَلِكَ أنَّهُمْ كَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ إذَا قَتَلَ وَاحِدٌ شَخْصًا، قَتَلُوا الْقَاتِلَ وَعَصَبَتَهُ، فَلَمَّا شُرِعَ لَهُمُ القِصَاصُ الَّذِي هُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ فَقَطْ، مَنَعَهُمْ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِد، فَكَانَ لأوْلِيَاءِ الْقَاتِلِ بِهَذَا الْجِنْسِ مِنَ الْحُكْمِ حَيَاةٌ عَظِيمَةٌ.

٤ - اطِّرَادُهُ وَعُمُومُهُ لأفْرَادِه، إذْ أنَّ الاقْتِصَاصَ مُطْلَقًا سَبَبٌ لِلْحَيَاة، بِخِلافِ الْقَتْلِ فَإنَّهُ قَدْ يَكُونُ أنْفَىٰ لِلْقَتْلِ كَالَّذِي عَلَىٰ وَجْهِ القِصَاص، وَقَدْ يَكُونُ أدْعَىٰ كَالْقَتْلِ ظُلْمًا.

٥ - خُلُوُّهُ مِنَ التَّكْرَار، بِخِلافِ قَوْلِهِمْ فَإنَّهُ فِيهِ تَكْرَارُ لَفْظِ الْقَتْلِ.

٦ - اشْتِمَالُهُ عَلَىٰ المُطَابَقَة، وَهِيَ الجَمْعُ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الجُمْلَة، فَإنَّ الْقِصَاصَ إنَّمَا كَانَ مُقَابِلاً لِلْحَيَاةِ وَمُضَادًّا لَهَا بِاعْتِبَارِ أنَّ فِيهِ قَتْلاً، وَالْقَتْلُ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ المَوْتِ المُقَابِلِ لِلْحَيَاة. انْظُرْ «مُعْجَمَ الْبَلاغَة» (ص٥٥٦ - ٥٥٧)، وانظر قريبًا مِنْ هَذَا فِي «التَّلْخِيصِ فِي عُلُومِ الْبَلاغَة» لِلْبَرْقُونِيِّ (ص٢١٦).

فَهَذِه الآيَةُ - عَلَىٰ قِصَرِهَا وَتَقَارُبِ أَطْرَافِهَا - قَدْ جَمَعَتْ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ بِأَسْرِهَا[١].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ [الأعْرَاف: ٣١].

وَهَذِه الآيَةُ - أَيْضًا عَلَىٰ قِصَرِهَا - جَمَعَت الطِّبَّ كُلَّهُ[٢].

وَمِنْ بَدِيعِ الإِيجَازِ: قَوْلُه - تَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ [الإخْلاص].

فَإِنَّهَا الْغَايَةُ فِي التَّنْزِيهِ، وَقَدْ تَضَمَّنَت الرَّدَّ عَلَىٰ أَرْبَعِينَ فِرْقَةً[٣].

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمْل: ١٨].

فَفِي هَذِه الآيَة - عَلَىٰ قِصَرِهَا - أَحَدَ عَشَرَ جِنْسًا مِنَ الْكَلامِ: نَادَتْ، وكَنَتْ، ونَبَّهَتْ، وَسَمَّتْ، وَأَمَرَتْ، وَبَيَّنَتْ، وَحَذَّرَتْ، وَخَصَّتْ، وَعَمَّتْ، وَأَشَارَتْ، وَعَذَرَتْ[٤][٥].

---

(١) قِيلَ لابْنِ عُيَيْنَةَ - كَمَا فِي «عَيْنِ الأَدَبِ والسِّيَاسَةِ» (ص١٣٢ - ١٣٣) -: «قَد اسْتَنْبَطْتَ مِنَ الْقُرْآنِ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ الْمُرُوءَةُ؟. فَقَالَ: فِي قَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ فَفِيه الْمُرُوءَةُ، وَحُسْنُ الآدَابِ، وَمَكَارِمُ الأَخْلاقِ، فَجَمَعَ فِي قَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ صِلَةَ الْقَاطِعِينَ، وَالْعَفْوَ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، وَالرِّفْقَةَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَخْلاقِ الْمُطِيعِينَ، وَدَخَلَ فِي قَوْلِه: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صِلَةُ الأَرْحَامِ، وَتَقْوَىٰ اللهِ فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَغَضُّ الأَبْصَارِ، والاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَدَخَلَ فِي قَوْلِه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الْحَضُّ عَلَىٰ التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ، وَالإِعْرَاضِ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مُنَازَلَةِ السُّفَهَاءِ، وَمُسَاوَاةِ الْجَهَلَةِ وَالأَغْبِيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَخْلاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ».

(٢) قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ (٢/ ١٨٦) -: «جَمَعَ اللهُ بِهَذِه الْكَلِمَاتِ الطِّبَّ كُلَّهُ».

(٣) أَفْرَدَ ذَلِكَ بِالتَّصْنِيفِ بَهَاءُ الدِّينِ بْنُ شَدَّادٍ.

(٤) فَالنِّدَاءُ «يَا»، وَالْكِنَايَةُ «أَيْ»، وَالتَّنْبِيهُ «هَا»، وَالتَّسْمِيَةُ «النَّمْل»، وَالأَمْر «ادْخُلُوا»، وَالْبَيَانُ «مَسَاكِنَكُمْ»، وَالتَّحْذِيرُ «لا يَحْطِمَنَّكُمْ»، وَالتَّخْصِيصُ «سُلَيْمَانُ»، وَالتَّعْمِيمُ «جُنُودُهُ»، وَالإِشَارَةُ «هُمْ»، وَالْعُذْرُ «لا يَشْعُرُونَ».

(٥) انْظُرْ «الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ».

وَإِيجَازُ الْقِصَرِ هُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الإِيجَازِ(١).

(ب) إيجَازُ حَذْفٍ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّنُ المَحْذُوفَ:

كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يُوسُف: ٨٢]. وَالمَقْصُودُ: أَهْلُ الْقَرْيَةِ.

وَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأَنْبِيَاء: ٩٦]. أَيْ: سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

وَلَهُ مَوَاضِعُ مُتَعَدِّدَةٌ، فَمِنْهَا:

١ - حَذْفُ المُبْتَدَأِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾ [القَارِعة: ١٠-١١]، أَيْ: هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ.

٢ - حَذْفُ الخَبَرِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١]، أَيْ: لَوْلَا أَنْتُمْ حَاضِرُونَ.

٣ - حَذْفُ الْفَاعِلِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)﴾ [القيامة: ٢٦]، أَيْ: الرُّوح.

٤ - حَذْفُ المَفْعُولِ: كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، أَيْ: إِلَهًا.

---

(١) قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ - رَحِمَهُ اللهُ - كَمَا فِي «المَثَلِ السَّائِرِ» (ص٢١٧): «وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ أَعْلَىٰ طَبَقَاتِ الإِيجَازِ مَكَانًا، وَأَعْوَزُهَا إِمْكَانًا، وَإِذَا وُجِدَ فِي كَلَامِ بَعْضِ البُلَغَاءِ، فَإِنَّمَا هُوَ شَاذٌّ نَادِرًا، وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -».

وَقَالَ الجَاحِظُ فِي «البَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» (٢/١): «إِنَّهُ - أَيْ: القُرْآنَ - قَدْ يَدُلُّ بِالكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ وَالكَلِمَاتِ المُخْتَصَرَةِ عَلَىٰ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ يَطُولُ شَرْحُهَا، وَإِذَا أَرَادَ المُتَكَلِّمُ العَادِيُّ التَّعْبِيرَ عَنِ المَعَانِي الَّتِي أَوْرَدَهَا القُرْآنُ، لَمْ يَصِلْ إِلَىٰ بُغْيَتِهِ إِلَّا بِلَفْظٍ أَطْوَلَ وَأَقَلَّ دِلَالَةً».

٥ - **حَذْفُ المُضَاف إلَيْه:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** ﴾ [الروم: ٤]، أَيْ: مِنْ قَبْلِ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدِه.

٦ - **حَذْفُ الجَارِ وَالمَجْرُور:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا** ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٢]، أَيْ: عَمَلاً صَالِحًا بِسَيِّئٍ، وَآخَرَ سَيِّئًا بِصَالِحٍ.

٧ - **حَذْفُ المَوْصُوف:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ** ﴾ [الصَّافَّات: ٤٨]، أَيْ: حُورٌ قَاصِرَاتٌ.

٨ - **حَذْفُ الصِّفَة:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ** ﴾ [التوبة: ١٢٥]، أَيْ: مُضَافًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ.

٩ - **حَذْفُ الْحَال:** كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم** ﴾ [الرَّعْد: ٢٣-٢٤]، أَيْ: قَائِلِينَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ.

٢ - *الإِطْنَابُ:*

حَقِيقَتُهُ: هُوَ زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ المَعْنَىٰ لِفَائِدَةٍ. كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ [مَرْيَم: ٤]، أَيْ: كَبِرْتُ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الزِّيَادَةِ فَائِدَةٌ فَهُوَ تَطْوِيلٌ وَثَرْثَرَةٌ.

أَقْسَامُ الإِطْنَاب:

١ - الإِيضَاحُ بَعْدَ الإِبْهَام:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ** ﴾ [طه: ١٢٠]. فَأَنْتَ تَتَرَقَّب، مَا

---

(١) وَيُعَرِّفُ بَعْضُهُمُ الإِطْنَابَ بِأَنَّهُ: زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَىٰ المَعْنَىٰ لِفَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ غَيْرِ تَرْدِيد. فَقَوْلُهم: «لِفَائِدَة» خَرَجَ مِنَ التَّطْوِيلِ وهُوَ زِيَادَةٌ من غير فَائِدَة، كَقَوْلِكَ: آتِيكَ الخميس قَبْلَ يَوْمِ الجُمُعَة. وقَوْلُهم: «جَدِيدَةٌ» تَخْرُجُ عَنْهُ الأَلْفَاظُ المُترادِفَةُ؛ لأَنَّهَا لغويَّةٌ وَلَيْسَتْ جَدِيدَةٌ. وَقَوْلُهُمْ: «مِنْ غَيْرِ تَرْدِيدٍ» يَحْتَرِزُ بِهِ مِنَ التَّوَاكِيدِ اللَّفْظِيَّةِ فِي مِثْلِ: «اضْرِبْ اضْرِبْ».

الَّذي وَسْوَسَ به الشَّيْطَانُ؟، إنَّ في ذَلكَ إجْمَالاً لابُدَّ منْ بَيَانه، فَبَيَّنَهُ - سُبْحَانَهُ - بِقَوْلِه: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: ١٢٠].

٢ - ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فَلَقَدْ ذُكِرَتِ الْوُسْطَىٰ مَرَّتَيْنِ، فَهِي دَاخِلَةٌ في قَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾، ثُمَّ ذُكِرَتْ مَرَّةً أُخْرَىٰ تَنْوِيهًا وَتَعْظِيمًا، كَأَنَّمَا هِي شَيْءٌ آخَرُ.

٣ - التَّكْرِيرُ وَالتَّوْكِيدُ لِمَعْنًى:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، أَوْ لِلْحَثِّ عَلَىٰ شُكْرِ نِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ، كَمَا في قَوْلِه - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرَّحْمن: ١٣]، أَوْ لِطُولِ الْفَصْلِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧]، فَكَرَّرَ ﴿ إِنَّ ﴾ لِطُولِ الْفَصْلِ.

٤ - التَّذْيِيلُ: (١)

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١]

ثُمَّ أَكَّدَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِقَوْلِه - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

---

(١) التَّذْيِيلُ: هُوَ تَعْقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَىٰ مُتَّفِقَةٍ مَعَهَا في الْمَعْنَىٰ تَأْكِيدًا لِلْجُمْلَةِ الأُولَىٰ، وَهُوَ قِسْمَانِ:
١ - جَارٍ مَجْرَىٰ الأَمْثَالِ لاسْتِقْلالِ مَعْنَاهُ عَمَّا قَبْلَهُ.
٢ - غَيْرُ جَارٍ مَجْرَىٰ الْمَثَلِ لِعَدَمِ اسْتِغْنَائِهِ عَمَّا قَبْلَهُ.

٥ - الاعْتِرَاضُ : (١)

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) ﴾ [النَّحل : ٥٧] فـ ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ جَاءَتْ مُعْتَرِضَةً.

٦ - زِيَادَةُ التَّرْغِيبِ فِي الْعَفْوِ :

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [التَّغَابن : ١٤].

٧ - اسْتِمَالَةُ المُخَاطَبِ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [غافر : ٣٨-٣٩].

٨ - الاحْتِرَاسُ : (٢)

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [الإنْسَان : ٨] ، أَيْ: مَعَ حُبِّهِمْ لِلْمَالِ فَهُمْ يُنْفِقُونَ مِنْهُ، وَمِنَ الاحْتِرَاسِ قَوْلُ الأَعْرَابِيَّةِ لِرَجُلٍ: « أَذَلَّ اللهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إِلاَّ نَفْسَكَ ».

٩ - التَّتْمِيمُ :

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٧].

---

(١) الاعْتِرَاضُ: هُوَ أَنْ يُؤْتَىٰ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ، أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ فِي الْمَعْنَىٰ بِجُمْلَةٍ مُعْتَرِضَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإِعْرَابِ غَيْرَ دَفْعِ الإِيهَامِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي آخِرِ الْكَلَامِ، كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وقالوا حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣]، فَجُمْلَةُ : ﴿ ونعم الوكيلُ ﴾ مُعْتَرِضَةٌ.

(٢) الاحْتِرَاسُ: هُوَ الْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ مِنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهُ وَيُغَيِّرُهُ.

فَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ – : ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ مِنَ التَّتْمِيمِ فِي شَيْءٍ؛ لأَنَّهُ مِنْ تَمَامِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ لأَنَّ الْمَعْنَىٰ انْتَهَىٰ عِنْدَ قَوْلِهِ – سُبْحَانَهُ –: ﴿ وَآتَى الْمَالَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾.

٣ - المُسَاوَاةُ:

هِيَ تَأْدِيَةُ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادُ بِعِبَارَةٍ مُسَاوِيَةٍ لَهُ، بِأَنْ تَكُونَ الْمَعَانِي بِقَدْرِ الأَلْفَاظِ، وَالأَلْفَاظُ بِقَدْرِ الْمَعَانِي.

كَقَوْلِهِ – تَعَالَىٰ – :﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٠].

فَأَنْتَ تَجِدُ اللَّفْظَ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَعْنَىٰ، لا يَنقُصُ عَنْهُ وَلا يَزِيدُ.

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٢]، أَيْ: مَحْبُوسَاتٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ.

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) ﴾ [القلم: ٩].

وَقَوْلُهُ – تَعَالَىٰ –: ﴿ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٤].

---

(١) **المُسَاوَاةُ**: هِيَ الْمَذْهَبُ الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ «الإِيجَازِ»، و«الإِطْنَابِ»، وَالْمُعْتَبَرُ فِي «الْمُسَاوَاةِ» عُرْفُ أَوْسَاطِ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَرْتَقُوا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ الْبَلاغَةِ، وَلَمْ يَنْحَطُّوا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ الْفَهَاهَةِ.